MINISTÈRE DE L'ÉDUCATION NATIONALE, DE L'ENSEIGNEMENT SUPÉRIEUR ET DE LA RECHERCHE

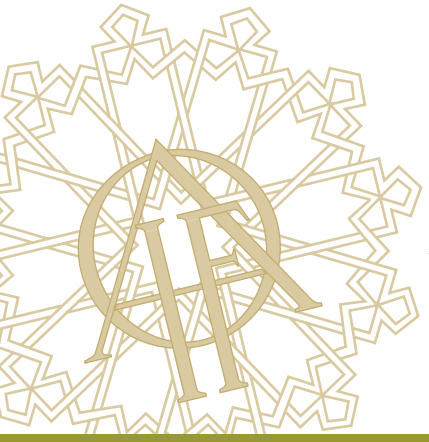

ANNALES ISLAMOLOGIQUES

en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne en ligne

AnIsl 31 (1997), p. 1-39

Ayman Fuʾād Sayyid

.maḫṭūṭ-al ʿarabi-al kitāb-al Ṣināʿat صناعة الكتاب العربى المخطوط

Conditions d'utilisation

L'utilisation du contenu de ce site est limitée à un usage personnel et non commercial. Toute autre utilisation du site et de son contenu est soumise à une autorisation préalable de l'éditeur (contact AT ifao.egnet.net). Le copyright est conservé par l'éditeur (Ifao).

Conditions of Use

You may use content in this website only for your personal, noncommercial use. Any further use of this website and its content is forbidden, unless you have obtained prior permission from the publisher (contact AT ifao.egnet.net). The copyright is retained by the publisher (Ifao).

Dernières publications

9782724710885	*Musiciens, fêtes et piété populaire*	Christophe Vendries
9782724710540	*Catalogue général du Musée copte*	Dominique Bénazeth
9782724711233	*Mélanges de l'Institut dominicain d'études orientales 40*	Emmanuel Pisani (éd.)
9782724711424	*Le temple de Dendara XV*	Sylvie Cauville, Gaël Pollin, Oussama Bassiouni, Youssreya Hamed
9782724711417	*Le temple de Dendara XIV*	Sylvie Cauville, Gaël Pollin, Oussama Bassiouni
9782724711073	*Annales islamologiques 59*	
9782724711097	*La croisade*	Abbès Zouache
9782724710977	*???? ??? ???????*	Guillemette Andreu-Lanoë, Dominique Valbelle

© Institut français d'archéologie orientale - Le Caire

المقام الشريف مولانا
السلطان الملك الأشرف أبي النصر
قانصوه الغوري
عز نصره»

وقد نَشَرَ هذه النسخة بالتصوير وقَدَّم لها الدكتور صلاح الدين المنجد وصدرت في بيروت عن دار الكتاب الجديد سنة ١٩٦٢، ثم أعاد هلال ناجي نشرها وصدرت في تونس عام ١٩٦٧.

ومن كبار الخطاطين المتأخّرين خير الـمَرْعَشي الذي تتلمذ عليه الشيخ حَمْد الله بن مصطفى دده المعروف بابن الشيخ الأماسي (٨٣٣ - ٩٢٢هـ/ ١٤٢٩ - ١٥٢٠م) الرائد الأكبر للخطاطين الأتراك، فبظهوره بدأ في تركيا عهدٌ جديدٌ متألّق استمر طويلا حتى يومنا هذا. فقد تَعَلَّم الشيخ حَمْد الله الأقلام الستة (وهى: الثُّلُث والنَّسْخ والـمُحَقَّق والرَّيْحان والتوقيع والرِّقاع) وأخذها عن خَيْر الدين الـمَرْعَشي الذي كان يكتب على طريقة ياقوت الـمُسْتَعْصمي.

وعندما تولَّى السلطان بايزيد العثماني العرش في عام ٨٦٦هـ/ ١٤٨١م، دعا الشيخ حَمْد الله إلى استانبول ليصبح معلمًا للخط في السَّراي العثماني، ونَجَح بدَعْم من السلطان في جَمْع كل خطوط ياقوت المستعصمي الموجودة وكتاباته في خزانة البلاط العثماني [المعروفة الآن بمكتبة خزينة الملحقة بمتحف طوبقبوسراي] ودَرَس أسلوبها حتى استطاع أن يُبْدع لنفسه أسلوبًا خاصًا ويَشْرَع في الكتابة ويتميز بها حتى عرف بـ «قِبْلَة الكُتَّاب» [١٥٨].

وقد أدْخَل الشيخ حَمْد الله على خَطَّي النَّسْخ والثُّلُث إصلاحات أساسية، فأضفى جمالا باهرًا على هذين الخطين، فبينما نجد عند ياقوت أن الحروف التي تُخَطّ من أعلى إلى أسفل (أ. ك. ل.) لم تكن متوازية، فإنها أصبحت عند الشيخ حَمْد الله متوازية دائمًا [١٥٩].

ومن بين السبعة وأربعين مُصْحَفًا التي كتبها الشيخ حَمْد الله، تحتفظ مكتبات السليمانية وطوبقبوسراي باستامبول والمتحف البريطاني بانجلترا وتشستربيتي بإيرلندا ومكتبة الكونجرس الأمريكي بعدد منها.

[١٥٨] جورج عطية : «المخطوطات العربية والإسلامية في مكتبة الكونجرس الأمريكي ــ مصحف الشيخ حَمْد الله الأماسي»، في كتاب المخطوط العربي وعلم الخط ٤٨.
[١٥٩] نفســـه ٥١.

AnIsl 31 (1997), p. 1-39 Ayman Fuʾād Sayyid
.maḫṭūṭ-al ʿarabi-al kitāb-al Ṣinā'at صناعة الكتاب العربى المخطوط
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

وزَيْن الدين عبدالرحمن بن يوسف بن الصّائغ القاهري المتوفى سنة ٨٤٥هـ/ ٤٤٢م، والصائغ حرفة أبيه. نشأ بالقاهرة وتَعَلَّم الخط المنسوب من النور الوسيمي ولازمه في إتقان قلم النَّسْخ حتى تَفَوَّق فيه عليه، وأحب كذلك طريقة ابن العفيف فسلكها وفاق أهل زمانه في حُسْن الخط كما يقول السَّخاوي، ونَسَخَ عدَّة مصاحف والكثير من الكتب والقصائد وصار شيخ الكُتّاب في وقته دون مُدافع (١٥٧).

ووَصَلَ إلينا بخط ابن الصّائغ المصحف الذي كتبه للسلطان الناصر فرج بن برقوق سنة ٨٠١هـ وهو محفوظٌ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١ مصاحف ومصحف آخر كتبه سنة ٨١٤هـ ثم آل بعد ذلك إلى السلطان المؤيد شيخ المحمودي وهو محفوظٌ الآن بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٦ مصاحف.

كذلك فقد وَضَعَ ابن الصّائغ رسالة عنوانها «تحفة أولي الألباب في صناعة الخط والكتاب»نشرها هلال ناجي وصدرت عن دار بوسلامة بتونس سنة ١٩٦٨.

ومحمد بن الحسن بن محمد بن أحمد بن عمر الطَّيِّبي الشافعي، أحد كبار الخطّاطين في القرن العاشر الهجري. أخَذَ الكتابة عن محمد بن كَزْل العيساوي وجمال الدين الهيتي والشيخ ياسين ووَصَلَ إلينا بخطه نسخة من كتابه «جامع محاسن كتابة الكُتّاب ونُزْهَة أولى البصائر والألباب» على طريقة ابن البَوّاب التي أخذها بالتسلسل عن شيوخه، وهذه النسخة محفوظة في مكتبة قغوش الملحقة بمتحف طوبقبوسراي باستانبول برقم ٨٨٢ (ومنها مصورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة برقم ١٦٤ أدب) جاء على غلافها:

«جمعه وكتبه بخطه
محمد بن حسن الطَّيِّبي»

وفي وسط الصفحة:

«من كتابة العبد الفقير إلى الله تعالى
محمد بن حسن بن محمد بن أحمد بن عمر الطيبي
الشافعي في يوم الأربعاء المبارك ثاني عشر
شهر رجب الفرد سنة ثمان وتسعمائة من الهجرة النبوية
غفر الله تعالى له ولوالديه ولمن نظر فيه ولكل المسلمين
برسم خزانة

١٥٧ السخاوي: الضوء اللامع ٤: ١٦١ – ١٦٢.

© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

وعاصر ياقوت الـمُسْتَعْصمي ستة من أساتذة الخط اشتهروا بأنهم تلاميذ ياقوت الـمُسْتَعْصمي وهم الذين اتَّبَع طريقتهم الخطاطون اللاحقون في زمن التيموريين والصفويين والعثمانيين. ورغم قيمة وأهمية هؤلاء الستة فإننا لا نكاد نعرف أي شيء عن حياة معظمهم وهم:أرْغون بن عبدالله الكاملي، ونصر الله الطبيب المعروف أيضًا بناصر الدين مُتَطبِّب، ومبارك شاه بن قطب التبريزي المسمى «زارين قلم»، ويوسف المشهدي الخراساني، وسيد أو مير حيدر المسمى «جنده ناويس»، وأحمد بن السُّهْرَوَرْدي المسمى «شيخ زاده». وقد وصلت إلينا العديد من المصاحف التي تحمل توقيع هؤلاء الخطاطين الذين كانت لهم مكانة عالية حتى أن الناس بدأوا في عمل نسخ تقليد لأعمالهم ناهيك عن التزوير [١٥٣].

ومن أشهر الذين حذوا حذو ياقوت الـمُسْتَعْصمي في مصر شرف الدين أبو عبدالله محمد بن شريف بن يوسف الذَّرْعي الدمشقي المعروف بابن الوحيد الكاتب المتوفى سنة ٧١١هـ/ ١٣١١م، الذي سافر إلى بغداد واجتمع بياقوت الـمُسْتَعْصمي، وصار شيخ التجويد في مصر يُضْرَب بجَوْدَة خطه المثل [١٥٤]، قال عنه الصفدي:

«صاحب الخط الفائق والنَّظْم والنثر، كان تام الشكل حسن البَزَّة موصوفًا بالشجاعة متكلمًا بعدَّة ألْسُن يُضْرَب المثل بحُسن كتابته ... وكان قد اتَّصَل بخدمة بيبرس الجاشنكير وأعجبه خطه فكتب له خَتْمَة في سبعة أجزاء بليقة ذهبية قلم الأشعار ثُلُث كبير قَطْع البغدادي، دَخَلَ فيها جملة من الذهب أعطاه لها الجاشنكير برَسْم الليقة لا غير ألفًا وستمائة دينار أو ألفًا وأربعمائة دينار، فَدَخَل الخَتْمَة ستمائة دينار وأخذ الباقي، فقيل له في ذلك فقال: متى يعود آخر مثل هذا يكتب مثل هذه الخَتْمَة؟ وزَمَّكها صَنْدَل الـمُذَهِّب رأيتها في جامع الحاكم وفي ديوان الإنشاء في قلعة الجبل غير مرة وهي وقفٌ بجامع الحاكم، وما أعتقد أن أحدًا يكتب مثلها ولا مثل تزميكها فإنهما كانا فردي زمانهما. وأخذ من الجاشنكير عليها جملة من الأجرة... وكتب الأقلام السبعة طبقة وأما فصاح النَّسْخ والمُحَقَّق والرّيْحان فما كتبه أحدٌ أحسن منه» [١٥٥].

وقد وَصَلَ إلينا هذا المصحف الذي يُعْرف بـ «مصحف بيبرس الجاشنكير» ومنه أجزاء في مكتبة المتحف البريطاني برقم Add 22406-13 ودرسه David James في مقال صدر عام ١٩٨٤ [١٥٦].

١٥٣ James, D., *Qur'ans of the Mamluks,* p. 76-77.

١٥٤ المقريزي : المقفى الكبير ٥ : ٧٢٠ – ٧٢١.

١٥٥ الصفدي: الوافي بالوفيات ٣ : ١٥٠ – ١٥١؛
المقريزي : المقفى ٥: ٧٢١.

١٥٦ James, D., « Some Observations on the Calligrapher and Illuminators of the Koran of Rukn al-Dīn Baybars al-Jāshnagīr, *Muqarnas* II (1984), p. 147-157.

AnIsl 31 (1997), p. 1-39 Ayman Fu'ād Sayyid
صناعة الكتاب العربى المخطوط .maḫṭūṭ-al ʿarabi-al kitāb-al Ṣināʿat
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

«أنه اشترى وَجْهَةً واحدةً بخط ابن البَوّاب بأربعين درهمًا، ونَقَلَها إلى ورقة عتيقة ووَهَبَها من حَيْدر الكتبي، فذَهَبَ بها وادَّعى أنها بخط ابن البَوَّاب وباعها بستين درهمًا زيادة على التي بخط ابن البَوَّاب بعشرين درهمًا، ونَسَخَ لي هذه الرُّقْعة بخطه فدفع فيها كُتّاب الوقت على أنها بخطه دينارًا مصريًا» (١٥٠).

وقد وَصَلَت إلينا بعض مؤلفاته بخطه يتَّضح منها أنه تأثَّر تأثُّرًا كبيرًا بخط ابن البَوَّاب.

وممن اشتهر أيضًا بالكتابة على طريقة ابن البَوَّاب أبو طالب المبارك بن المبارك بن المبارك الكَرْخي المتوفى سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م، قال ياقوت:

«سمعت جماعةً يحكون أنه لم يكْتُب أحدٌ قبله ولا بعده مثله في قلم الثُّلُث، حتى رأيت من يُغالي فيه فيقول: إنه كَتَبَ خيرًا من ابن البَوَّاب، وكان ضنينًا بخطه جدًا لذلك قَلّ وجوده. كان إذا اجتمع عنده شيءٌ من تجويداته يستدعي طَسْتًا، ويغسله فأما إذا استفتي فإنه كان يكسر قلمه ويَجْهَد في تغيير خطه» (١٥١).

وكذلك أمين الدين ياقوت الموصلي المتوفى سنة ٦١٨هـ/ ١٢٢٠م أحد موالي السلطان ملكشاه السلجوقي، قال ابن الأثير:

«لم يكن في زمانه من يُؤَدّي طريقة ابن البَوَّاب مثله» (١٥٢).

ويعتبر جمال الدين ياقوت بن عبدالله الـمُسْتَعْصِمي الرومي، الذي عاش في عهد آخر خلفاء العباسيين، المتوفى سنة ٦٩٨هـ/ ١٢٩٩م المعروف بـ «قِبْلَة الخطاطين» آخر أشهر الخطاطين الذين طَوَّروا الخط العربي وهو الذي قَلَّد أسلوب ابن مُقْلَة وابن البَوَّاب ولعب دورًا مهمًا في تطوير الخط العربي وتجويده مضفيًا على الخط كمالا وحُسْنًا جعلت منه رائدًا لمن جاء بعده من الخَطّاطين. وقد بَلَغَت عظمة ياقوت الـمُسْتَعْصمي حَدًّا فاق مكانة ابن مُقْلَة وابن البَوَّاب، واتَّسَمَ خَطُّه بالرِّقَّة والرَّشاقة ويُنْسَب إليه شَذْب القلم بطريقة تجعل جَرَّاته الثخينة منها والرفيعة أكثر تميزًا وروعة. وأصبح هو المثل الذي اجتهدت الأجيال اللاحقة من الخطاطين في أن تحذو حذوه، وكتب ياقوت العديد من المصاحف والكتب مازال بعضها محفوظًا في دار الكتب المصرية والمتحف البريطاني وخُدابخش بتنه بالهند وفي مكتبة خزينة الملحقة بمتحف طوبقبوسراي باستانبول وفي مجموعة خليلي بلندن، ومع ذلك فإن المشكلات المتعلقة بتحديد المصاحف المنسوبة له كثيرة جدًا لدرجة أنها تحتاج إلى دراسة مستقلة.

[١٥٠] ياقوت: معجم الأدباء ١٦ : ٤٥ – ٤٦.

[١٥١] نفسه ١٧ : ٥٦ – ٥٧.

[١٥٢] ابن الأثير : الكامل ١٢ : ٤٠٥.

AnIsl 31 (1997), p. 1-39 Ayman Fu'ād Sayyid
صناعة الكتاب العربى المخطوط maḫṭūṭ-al ʿarabi-al kitāb-al Ṣināʿat.
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

كتبت سنة ٣٩١هـ/ ١٠٠٠م نشرها D.S. Rice بالفاكسميلي وقدم عنها دراسة في وصفها وعن دور ابن البَوّاب في تطور الخط العربي [١٤٣] ،وقد اعتبرD.S. Rice هذا المصحف هو المخطوط الوحيد الذي وَصَلَ إلينا بخط ابن البَوّاب وأن المخطوطات الأخرى المنسوبة لابن البواب ليست إلا نسخًا مُزَوَّرَة [١٤٤]. وذكر الصَّفَدي أنه رأى « من خطه كثيرًا وملك منه قطعة بقلم الرِّقاع» [١٤٥]. وكانت وفاة ابن البَوَّاب سنة ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م وقيل سنة ٤٢٣هـ/ ١٠٣٢م [١٤٦].

وقد لاقت طريقة ابن البَوّاب في الكتابة كثيرًا من الـمُقَلِّدين ومن بينهم الكثيرات من النساء منهن فاطمة بنت الحسن بن علي العَطّار المعروفة ببنت الأقْرَع المتوفاة سنة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م التي كتبت الاتفاق الذي عقد بموجبه الهُدْنَة بين العباسيين والبيزنطيين، وكانت في خدمة العميد أبي نَصْر الكُنْدَري في بلاد الجيل [١٤٧].

أما مؤرخ حلب الشهير كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جَرادَة المعروف بابن العَديم المتوفى سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م فيرى البعض أن كتابته فاقت كتابة ابن البَوّاب وبلغت الغاية في الجودة والإتقان، وتنّبأ له مُعَلّمه في الكُتّاب وهو مازال في السابعة من عمره بأنه إذا عاش لا يكون في العالم أكْتَب منه، يقول ياقوت:

«وصَحَّت لعمري فراسة الـمُعَلِّم فيه، فهو أكتب من كل من تَقَدَّمه بعد ابن البوّاب بلا شك» [١٤٨].

وكان والده يُحَرِّضَه على تجويد الخط ويتولّى صَقْل الكاغَد له بنفسه، ورغم أن خطه لم يكن بالجَيِّد فإنه كان يعرف أصول الخط ويُمَيِّز بين الجيد والردئ منه، وكان عنده خط ابن البَوّاب وكان يريه أصوله إلى أن أتقن منه ما أراد، ثم كَتَبَ على محمد بن أحمد بن البَرْفَطي السابق ذكره عندما وَرَدَ إلى حلب [١٤٩]. ويذكر ياقوت أن خط كمال الدين العديم شاع ذكره في البلاد وتهاداه الملوك، وأن ممّا رَغَّب في خطه:

١٤٣ Rice, D. S., *The Unique Ibn al-Bawwāb Manuscripts in the Chester Beaty Library*, Dublin 1955.

١٤٤ منها : «رسالة مدح الكتب والحث على جمعها» للجاحظ في متحف الأوقاف باستامبول برقم T 2014، و«ديوان الحادرة» في دار الكتب المصرية برقم ٢١٤٥ أدب، و«شعر سلامة بن جَنْدَل» في مكتبة بغداد كشك باستانبول برقم ١٢٥.

١٤٥ الصفدي: الوافي بالوفيات ٢٢ : ٢٩١.

١٤٦ وأورد محمد بهجة الأثري قصيدته الرائية فى ثنايا تذييله لكتاب سهيل أنور عن الخطاط البغدادي علي بن هلال المذكور أعلاه بين صفحتي ٣١ – ٣٣، كما نشرها وعلّق عليها بشرح ابن الوحيد المصري المتوفى سنة ٧١١هـ/ ١٣١١م هلال ناجي في مطبعة المنار بتونس سنة ١٩٦٧ ثم نشرها باسم «شرح المنظومة المستطابة في علم الكتابة» بشرح ابن بصيص النحوي وشرح ابن الوحيد المصري متداخلين في مجلة المورد العراقية ١٥ / ٤ (١٩٨٦).

١٤٧ ياقوت : معجم الأدباء ١٦ : ١٧٢.

١٤٨ نفسه ١٦ : ٣٩.

١٤٩ نفسه ١٦ : ٤٢.

AnIsl 31 (1997), p. 1-39 Ayman Fu'ād Sayyid
صناعة الكتاب العربى المخطوط .maḫṭūṭ-al ʿarabi-al kitāb-al Ṣināʿat
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

وسرعان ما أصبحت النُّسَخ التي كَتَبَها ابن البَوَّاب نادرة وكان عارفو قدرها يدفعون فيها أثمانًا عالية، فيروي ياقوت الحموي أيضًا أن محمد بن أحمد بن محمد المعروف بابن البَرْفَطي المتوفى سنة ٦٢٥هـ/ ١٢٢٧م، الذي وصفه بأنه «أوْحَد عصره في حُسْن الخط» ،خَلَّف خمسة وعشرين قطعةً بخط ابن البَوَّاب قال:

«لم تجتمع في زماننا عند كاتب، وكان يغالي في شرائها... فحصل له منها ما لم يحصل لأحد غيره. وجدت عنده أكثر من عشرين قطعة بخطه أرانيها» (١٤١).

وكان البَرْفَطي قد بدأ حياته مُعَلِّمًا، فلما جاد خَطُّه صار محرِّرًا، وكان يُكنّ لابن البَوّاب تقديراً كبيراً وكان على استعداد لأن يدفع ثمنًا باهظًا في سبيل الحصول على ورقة مكتوبة بخطه، وقد اطَّلَع ياقوت الحموي على أكثر من عشرين قطعة بخط ابن البَوّاب كانت عنده. ويروي ياقوت كيف حَصَلَ البَرْفَطي على إحدى القطع التي كتبها ابن البَوّاب بخطه، يقول:

«وحدثني قال: بلغني عن رجل مُعَلِّم في بعض محال بغداد أن عنده جُزازًا كثيراً ورثه عن أبيه، فخُيِّل لي أنه لا يخلو من شيء من الخطوط المنسوبة، فمضيت إليه وقلت له: أُحبُّ أن تُريني ما خَلَّف لك والدُك عسى أن أشتري منه شيئًا، فصَعَدَ بي إلى غرفة وجلست أفَتِّش حتى وَقَعَ بيدي ورقة بخط ابن البَوّاب [للأسف سقط هنا بعض الكلام من نص ياقوت] قَلَمَ الرِّقاع أرانيها أيضًا، فضَمَمْتُ إليها شيئًا آخر لا حاجة بي إليه وقلت له: بكم هذا؟ فقال لي: يا سيدي ما صَلَحَ لك في هذا كله شيءٌ آخر؟ قلت له: أنا الساعة مستعجلٌ ولعلِّي أعود إليك مرةً أخرى. فقال: هذا الذي اخترته لا قيمة له فخذه هبةً مني. فقلت: لا أفعلُ وأعطيته قطعة قُراضَة مقدارها نصف دانق، فاستكثرها وقال: يا سيدي ما أخذت شيئًا يساوي هذا المقدار فخُذْ شيئًا آخر، فقلت: لا حاجة لي في شيء آخر، ثم نزلت من غرفتي فاستحييت وقلت هذا مخادعةٌ، ولا شك أنه قد باعني ما جهله، ووالله لا جعلت حَقّ خط ابن البَوّاب أن يُشْتَرى بالمخادعة، فعُدْت إليه وقلت له: يا أخي هذه الورقة بخط ابن البَوّاب، فقال : وإذا كانت بخط ابن البَوّاب فأيّ شيء أصنع؟ قلت له: قيمتها ثلاثة دنانير إمامية. فقال: يا سيدي لا تَسْخَر بي، ولعلك قد عزمت على رَدِّها فخذها وحُطّ الذهب. فقلت: بل أحضر ميزانًا للذهب فأحضرها، فوزنت له ثلاثة دنانير وقلت له: بعْتَني هذا بهذا؟ فقال: بعتك، فأخذتها وانصرفت» (١٤٢).

ووَضَعَ ابن البَوَّاب رسالةً فى علم الخط وأخرى في أصول الكتابة وبَرْي القلم منها نسخة في مكتبة رفاعة الطهطاوي بسوهاج برقم ٢٤ فلك، ونَسَخَ المصحف بيده أربعًا وستين مرة إحداها بالخط النَّسْخ ومكتوبة على الورق لاتزال محفوظة في مكتبة تشستر بيتي بدبلن تحت رقم ١٤٣١

[١٤١] ياقوت: معجم الأدباء ١٧ : ٢٧٨ ، ٢٨٠.

[١٤٢] نفسه ١٧ : ٢٨٠ – ٢٨١.

AnIsl 31 (1997), p. 1-39 Ayman Fuʾād Sayyid
.maḫṭūṭ-al ʿarabi-al kitāb-al Ṣinā'at صناعة الكتاب العربى المخطوط
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

وعندما سئل صاحب «الرسالة في الكتابة المنسوبة» عن سبب تسمية هذه الكتابة المنسوبة: أهو لتناسبها أم لأنها نسبت إلى واضعها؟ أجاب بأنه:

«لم تَقْنَع النفس من صورة حروفه وأوضاع كلمه بدون صحة نسبته الوضعية كما تناسبت أعضاء الحيوان وتوازنت أجزاء النبات، لأن النفس عاشقة في الجمال مجبولة على حب الحُسْن، وهو التناسب الطبيعي مرئيًا كان أو مسموعًا.

لكن خيره ... هو ما ناسب كل حرف مجاوره وما بعد مجاوره وما قبله في كلمته واعتدلت مقاديره» [١٣٦].

ثم يستطرد الكاتب المجهول فيقول إنه من المتعذر التوصل للكمال في الكتابة عن طريق خط الحروف المستقيمة بمسطرة أو المستديرة ببركار:

«فلذلك لا يوجد في كل عصر إلا الكاتب بعد الكاتب، وذلك لإعجاز هذه الصناعة بدقة المذاهب» [١٣٧].

ثم يضيف الكاتب نفسه أن من جاءوا قبل ابن البَوّاب قد اجتهدوا في إصلاح الخط الكوفي ولكن محاولاتهم لم تؤد إلا إلى ترطيبه وألا يُرَى إلامن خارج زواياه . وأنه رأى أن ابني مُقْلَة قد أتقنا قلمي التوقيعات والنَّسْخ ولكنهما لم يرسخا في إتقانهما فكَمَّل هو معناهما وتمَّمَه. ووجد شيخه محمد بن أسد يكتب الشعر بنَسْخ قريب من الـمُحَقّق فأحكمه، كذلك فقد:

«حَرَّر ابن البَوّاب قلم الذهب وأتقنه ووَشَّى برد الحواشي وزيَّنَه، ثم بَرَعَ في الثُّلُث وخفيفه وأبدع في الرقاع والريحان وتلطيفه، ومَيَّز قلم المتن والمصاحف وكتب بالكوفي فأنسى القرن السالف» [١٣٨].

وقد اختتم الكاتب المجهول رسالته بالقول بأن ابن البَوّاب قد فاق جيل الخَطّاطين الذين سبقوه بفضل موهبته ومهارته في مختلف أنواع الخطوط، وأن الذين حاولوا تقليده بعد ذلك لم يفلحوا إلا في نوع واحد أو نوعين من الكتابة [١٣٩]

والظاهر أن ابن البَوّاب لم ينتفع أثناء حياته بالقيمة الفائقة التي قُدِّرَت بها أعماله بعد وفاته فيروي ياقوت الحموي أنه وَجَدَ رُقْعَةً بخطه قد كتبها إلى بعض الأعيان في نحو السبعين سطرًا يسأل فيها مساعدة صاحبه ابن منصور إنجاز وَعْد وعده به لا يساوي دينارين، وقد بيعت بسبعة عشر دينارًا إمامية، وبَلَغَه أنها بيعت مرة أخرى بخمسة وعشرين دينارًا [١٤٠].

[١٣٦] خليل محمود عساكر: «رسالة في الكتابة المنسوبة»، مجلة معهد المخطوطات العربية ١ (١٩٥٥) ١٢٤.

[١٣٧] نفسه ١٢٥.

[١٣٨] نفسه ١٢٦.

[١٣٩] نفسه ١٢٦ – ١٢٧.

[١٤٠] ياقوت: معجم الأدباء ١٥ : ١٢١ – ١٢٢.

AnIsl 31 (1997), p. 1-39 Ayman Fuʾād Sayyid
صناعة الكتاب العربى المخطوط maḫṭūṭ-al ʿarabi-al kitāb-al Ṣināʿat.
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

وذَكَر الثَّعالبي أن ابن مُقْلَة:

«كتب كتاب هُدْنة بين المسلمين والروم بخطه، وهو إلى اليوم [توفي الثعالبي عام ٤٢٩هـ] عند الروم في كنيسة قسطنطينية يبرزونه في الأعياد ويعلِّقونه في أخص بيوت العبادات ويعجبون من فرط حسنه وكونه غاية في فنه» (١٢٩).

ولم يصل إلينا ــ للأسف الشديد ــ أي أثر من آثار ابن مُقْلَة التي خطها بيده.

ثم قام أبو الحسن علي بن هلال البغدادي الكاتب المعروف بابن البَوّاب (١٣٠) في أوائل القرن الخامس بإكمال قواعد الخط العربي وهندسته وأتمها واخترع غالب الأقلام التي بدأها ابن مُقْلَة وخاصةً فى النَّسْخ والثُّلُث وهَذَّبهما وصَحَّحهما (١٣١) وزاده تعريبًا ودَوَّر حروفه (١٣٢). وكان ابن البَوّاب في أول أمره، كما يقول ياقوت «مُزَوِّقًا يُصَوِّر الدور ثم صَوَّر الكتب ثم تعانى الكتابة ففاق فيها المتقدمين وأعجز المتأخرين» (١٣٣).ولا شك أن عمل ابن البَوّاب بالتصوير والتذهيب هو الذي أعانه على استنباط ما زاده في الكتابة وغَيَّرَه من الأوضاع، كما يقول الصَّفَدي (١٣٤).

وقد وَصَفَ روبرتسون كذلك التحسين الذي أدخله ابن البَوّاب على الخط العربي وصفًا دقيقًا بقوله:

«لا شك أن ابن مُقْلَة قد أضفى جمالا على الكتابة، ولكن هذا الجمال ينحصر في الشكل الهندسي الذي أكسبها إيّاه وفي الدقَّة الحسابية التي نَفَّذها بها، أى أن فنه في الكتابة كان يوحي بالحركة الدينامية. أما ابن البَوّاب، الذي جاء بعد ذلك بقرن من الزمان، فهو الذي أضفى عليها العنصر الفني الذي كان يفتقر إليه الخط المَنْسوب الذي ابتدعه ابن مُقْلَة. وكان ابن البَوّاب يتمتَّع بحاسة فطرية نحو التوافق والحركة عَبَّرَ عنهما بانسياب الخطوط ورشاقة انثناءاتها وهو - كما قال عنه المؤلفون - قد نَسَجَ على حرْفَة ابن مُقْلَة، والحق أنه كان مُبْدع الخط المَنْسوب الرشيق دون أن يكون هناك خلط بين الاثنين ودون أن نُقَلِّل من الفضل الذي يستحقه ابن مُقْلَة كمُجَدِّد» (١٣٥).

١٢٩ الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ٣٤٥ .

١٣٠ انظر ترجمته عند ياقوت: معجم الأدباء ١٥ : ١٢٠ - ١٣٤؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣ : ٣٤٢ - ٣٤٤؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٢٢ : ٢٩٠ - ٢٩٥؛ كذلك سهيل أنور: الخطاط البغدادي علي بن هلال المشهور بابن البواب(بالتركية)، نقله إلى العربية محمد بهجة الأثري وعزيز سامي، بغداد- مطبوعات المجمع العلمي العراقي ١٩٥٨ Sourdel - Thomine, J., *EI*^{2}., art. *Ibn al-Bawwāb* III, p. 736-737.

١٣١ القلقشندي: صبح الأعشى ٣ : ١٧.

١٣٢ الصفدي :الوافي ٢٢ : ٢٩٠.

١٣٣ ياقوت : معجم الأدباء ١٥ : ١٢١؛ الصفدي : الوافي ٢٢ : ٢٩١.

١٣٤ الصفدى: الوافي ٢٢: ٢٩١.

١٣٥ Robertson, A., cité par Rice, D. S., *op. cit.* p.14-15.

© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

من هَنْدَس الحروف وقَدَّر مقاييسها وأبعادها بالنُّقَط وضبطها ضبطًا محكمًا، واستخلص من الأقلام الموجودة ستة أقلام هى: الثُّلُث والنَّسْخ والتوقيع والرَّيْحان والـمُحَقَّق والرِّقاع [١٢٣]، وأصبح يطلق على هذا الخط المنضبط «الخط المنسوب». ويمكن اعتبار ابن مُقْلَة وبحق منشئ الخط الـمَنْسوب، وكانت طريقته هي إكساب كل حرف من حروف الهجاء نسبة محددة إلى حرف الألف مما أدَّى إلى تنظيم قياسي دقيق للحروف الهجائية. وقد لَخَّص ا. روبرتسون A. Robertson هذا الابتكار تلخيصًا رائعًا بقوله:

«لقد ابتكر ابن مُقْلَة طريقةً جديدةً للقياس بواسطة النُّقَط. كان رَسْم النقطة من الناحية الهندسية يتم بوضع سن القلم على الورق ثم تحريكه نزولا مع الضغط الكافي لفتح شقيه إلى أقصاهما ثم تركهما ينضمان ثانيةً من تلقائهما وبسرعة. وبهذه الطريقة يتكَوّن مُرَبَّع أو مُعَيّن. وباتخاذ النقطة وحدة للقياس (كانت النقطة لهذا الغرض توضع متلامسة بزواياها) قَوَّم ابن مُقْلَة الألف الكوفية التي كانت قبل ذلك ذات شكل مائل إلى اليمين على هيئة قوس يشبه طرف مضرب الهوكي، ثم جَعَلَ منها معياراً للقياس ... وكانت خطوته التالية هي تعديل الحروف الكوفية حرفًا حرفًا ليجعلها تتلاءم والأشكال الهندسية، وبذلك أصبح من السهل قياسها. ثم حَدَّدَ لكل منها نسبة مع الألف، فإذا كان الحرف مثلا ذا شكل استداري مثل الراء أو النون الخ... فإن قُطْر الدائرة التي تُكَوّنها هذه الاستدارة يعادل طول الألف، وهكذا دواليك» [١٢٤].

ووصف الثعالبي خط ابن مُقْلَة بقوله:

«يضرب مثلا في الحسن لأنه أحسن خطوط الدنيا وما رأي الراؤون بل ما روى الراوون مثل ارتفاعه عن الوصف وجريه مجرى السِّحْر» [١٢٥].

ورأى ابن النديم مصحفًا بخط ابن مُقْلَة [١٢٦]، كما رأى ابن البَوّاب كذلك مصحفًا من ثلاثين جزءًا بخطه في خزانة كتب بهاء الدولة بن عَضُد الدولة بشيراز ينقص جزءًا أتمه هو بخطه [١٢٧].

ومع ذلك فقد ذكر القلقشندي أنه رأى:

«من الكتب بخط الأقدمين فيما قبل المائتين ما ليس على صورة الكوفي بل يَتَغَيَّر عنه إلى نحو هذه الأوضاع المستقرة وإن كان هو إلى الكوفي أمْيَل لقُرْبه من نقله عنه» [١٢٨].

[١٢٣] انظر ترجمة ابن مقلة عند ابن خلكان: وفيات ٣: ٣٤٢، ٥: ١١٣ – ١١٨؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ٤: ١٠٩ – ١١٠؛ Abbot, N., «The Contribution of Ibn Muklah to the North-Arabic Script», *AJSLL* 56 (1938), p. 70-83; Sourdel, D., *EI*[2] art. *Ibn Mukla* III, p. 882-886.

[١٢٤] Robertson, A., cité par Rice, D. S., *The Unique Ibn al-Bawwāb Manuscripts in the Chester Beaty Library*, Dublin 1955, p. 13-14.

[١٢٥] الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ٣٤٤.

[١٢٦] ابن النديم: الفهرست ١٢.

[١٢٧] ياقوت الحموي: معجم الأدباء ١٥ : ١٢٣ – ١٢٤.

[١٢٨] القلقشندي : صبح الأعشى ٣ : ١١.

AnIsl 31 (1997), p. 1-39 Ayman Fu'ād Sayyid
.maḥṭūṭ-al 'arabi-al kitāb-al Ṣinā'at صناعة الكتاب العربى المخطوط
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

وتعجم أخراهما بنقطة كباقى الأحرف الزوجية مثل الدال والذال والراء والزاي ولكن المشارقة ذهبوا إلى نقط الفاء بنقطة من أعلى والقاف باثنتين من أعلى أيضًا، وذهب المغاربة إلى نقط الفاء بواحدة من أسفل والقاف بواحدة من أعلى [١١٨].

ولما كان هذا الإصلاح يستدعي اشتباه نقط الشكل بنقط الإعجام قَرَّرَ نَصْر ويحيى أن تكون نُقَط الشكل بالمداد الأحمر ونُقَط الإعجام بنفس مداد الحروف.

وفي عصر الدولة العباسية أراد الناس أن يجعلوا «الشَّكْل» بنفس مداد الكتابة تيسيرًا للأمر. وحَلَّ هذا الالتباس عالم اللغة الشهير الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى نحو سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٩م بوضع طريقة أخرى للشكل باستخدام ثمان علامات جديدة للشكل على صورة شُرَط رفيعة تُرْسَم بسن القلم أعلى وأسفل الحروف وعلامات التنوين الاصطلاحية المعروفة والهمزات، وهي العلامات التي مازالت تستخدم إلى الآن.

تَطَوُّر الخط العربي

وفي الوقت نفسه أخذ الخط العراقي وهو الـمُحَقَّق الذي كان يكْتُب به الوّراقون في التَحَسُّن حتى عصر الخليفة المأمون عندما قام رجلٌ يعرف بالأحْوَل الـمُحَرِّر كان من صنائع البرامكة وكان يُحَرِّر الكتب النافذة من السلطان إلى ملوك الأطراف في الطوامير بوضع قوانين ورسوم للخط وجعله أنواعًا. وهو الذي استحدث قلم الطومار وقلم الثلثين وقلم السجلات [١١٩] وربما كان الرجل هو إبراهيم بن عبدالله بن الصَّبّاح بن بشر السَّعْدي الذي كان ابنه إسحاق المكنى بأبي الحسين يُعَلِّم المقتدر وأولاده ووَضَع رسالة في الخط والكتابة سمّاها «تحفة الوامق». يقول ابن النديم: «لم ير في زمانه أحسن خطًا منه ولا أعرف بالكتابة» وكان إخوته وأبناؤه «في نهاية حُسْن الخط والمعرفة بالكتابة» [١٢٠]. ثم أحدث بعد ذلك الوزير ذو الرياستين الفضل بن سَهْل قلمًا عرف بالرياسي. وكانت بداية تحويل الخط العربي من الشكل الكوفي إلى الشكل الذي هو عليه الآن على يد الأحْوَل الـمُحَرِّر، ثم أتمه بعده الوزير أبو علي محمد بن علي بن الحسن بن مُقْلَة وزير المقتدر والقاهر والراضي والمتوفى سنة ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م الذي انتهت إليه وأخيه أبي عبدالله جَوْدَة الخط وتحريره على رأس الثلاثمائة كما يقول القلقشندي [١٢١] وإن بقي فيه تكويفٌ ما [١٢٢]. وهو أوّل

[١١٨] راجع، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢ : ٣٢؛ الصفدي: تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، ١٤؛ القلقشندي: صبح الأعشى ٣ : ١٥١ – ١٥٥.

[١١٩] ابن النديم: الفهرست ١١؛ ياقوت: معجم الأدباء ٦ : ٥٩.

[١٢٠] نفسه: ١١ – ١٢؛ نفسه ٦ : ٦٠ – ٦١؛ الصفدي: الوافي ٨ : ٣٩٣.

[١٢١] القلقشندي: صبح الأعشى ٣ : ١٧.

[١٢٢] الصفدي: الوافي ٢٢ : ٢٩٠.

AnIsl 31 (1997), p. 1-39 Ayman Fu'ād Sayyid
صناعة الكتاب العربى المخطوط maḫṭūṭ-al ʿarabi-al kitāb-al Ṣināʿat.
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

الشَّكْل والإعْجام

نتيجة لحركة الفتوح العربية الكبرى ولدخول العديد من الأمم غير العربية في دين الإسلام بدأ يظهر اللَّحْن في قَوْل هؤلاء وخُشى على القرآن أن يتطرق إليه اللَّحْن، فطَلَبَ زياد بن أبيه والي البصرة من أبي الأَسْوَد الدُّؤَلى مؤسِّس علم النحو العربي المتوفى سنة ٦٩هـ/ ٦٨٨م أن يضع طريقةً لإصلاح الألسنة يتمكن من خلالها الناس من إصلاح كلامهم وإعراب كتاب الله.

فبدأ أبو الأَسْوَد الدُّؤَلى في وضع «شكْل» الحروف وأخذ الناس عنه هذه الطريقة فكانوا يضعون نقطة فوق الحرف للدلالة على فتحته، ونقطة تحت الحرف للدلالة على كسرته، ونقطة عن شماله للدلالة على ضمته، ولايضعون شيئًا على الحرف الساكن، وإذا كان الحرف مُنَوَّنًا يضعون نقطتين فوقه أو تحته أو عن شماله، فاعتبر أبو الأسود بذلك «أوَّل من نَقَط المصحف».

ولم تشتهر طريقة أبى الأَسْوَد الدُّؤَلى إلا فى المصاحف حرصًا على إعراب القرآن. أما الكتب العادية فكان شكلها نادرًا لأن المكتوب إليهم كانوا يعدون ذلك تجهيلاً لهم [١١٧].

والإعجام هو تمييز الحروف المتشابهة بوضع نُقَط لمنع العُجْمَة أو اللَّبْس وقد خَلَت النقوش التي عثر عليها حتى الآن وكذلك الكتابة النبطية التي اشتقت منها اللغة العربية من النقط.

يذهب بعض العلماء إلى أن النَّقْط كان معروفًا قبل كتابة المصحف الإمام (مصحف عثمان) ثم عُدِل عنه قصدًا وجُرِّد القرآن منه حتى إذا اتسعت رقعة الدولة الإسلامية وكثر الأعاجم الذين أسلموا أو فتح العرب بلادهم تَطَلَّب الأمر وضع طريقة جديدة لضبط قراءة المصحف.

وظَلَّ المسلمون يقرأون في مصحف عثمان أكثر من أربعين عامًا، إلى أن كثر التصحيف في العراق حتى طلب الحَجَّاج بن يوسف الثَّقَفى والي العراق في عصر عبدالملك بن مَرْوان إلى كُتّابه أن يضعوا علامات لتمييز الحروف المتشابهة. وتَوَلَّى عملية الإصلاح الثاني في الكتابة العربية نَصْر بن عاصم الليثي ويحيى بن يَعْمُر العدواني تلميذى أبي الأَسْوَد الدُّؤَلي فقررا وضع نقط لتمييز الأحرف المتشابهة.

فلتمييز الدال من الذال أُهملت الأولى وأُعجمت الثانية بنقطة واحدة ملوية، وكذلك الراء والزاي، والصاد والضاد، والطاء والظاء، والعين والغين، وجعلا تمييز السين من الشين بإهمال الأولى وإعجام الثانية بثلاث نقاط لأن لها ثلاث أسنان. وأما الباء والتاء والثاء والنون فلم تجعل واحدة منهن مهملة بل أُعجمت كلها، أما الجيم والحاء والخاء فقد جعلت الحاء مهملة وأُعجم الأخريان واحدة من تحت والأخرى من فوق. أما الفاء والقاف فكان القياس أن تهمل أولاهما

[١١٧] راجع، ابن أبي داود السجستاني: كتاب المصاحف ١٤٤-١٤٧؛ القلقشندى: صبح الأعشى ٣ : ١٥٦ - ١٦٧.

AnIsl 31 (1997), p. 1-39 Ayman Fu'ād Sayyid
صناعة الكتاب العربى المخطوط .maḫṭūṭ-al ʿarabi-al kitāb-al Ṣināʿat
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

كُتّاب المُصْحَف

ذكر ابن النديم أن أول من كتب المصاحف في الصدر الأول ويوصف بحُسْن الخط خالد بن أبي الهياج قال: «رأيت مصحفًا بخطه» [١١٠]. وذكر أيضًا أن سعد خُصَّه كان يكتب المصاحف والشعر والأخبار للخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك، وهو الذي كتب الكتاب الذي في قِبْلَة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالذهب من﴿والشَّمْسُ وضُحَاهَا﴾ إلى آخر القرآن [١١١]. ومن كُتّاب المصحف أيضًا أبو يحيى مالك بن دينار البصري مولى أسامة بن لُؤَي «كان يكتب المصاحف بالأجرة» ومات بالبصرة سنة ١٣٠هـ/ ٧٤٨م قبل الطاعون بيسير [١١٢].

ويذكر ابن أبي داود السِّجِسْتاني أن جابر بن زَيْد الأزدي المتوفى سنة ٩٣هـ/ ٧١١م دَخَلَ عليه فوَجَدَه يكتب المصحف فقال له: «مالك صنعة إلا أن تنقل كتاب الله من ورقة إلى ورقة، هذا والله كَسْب الحلال، هذا والله كَسْب الحلال» [١١٣].

وأول من كتب المصحف في أيام الدولة الأموية شخصٌ يدعى قُطْبَة يُعْزَى إليه استخراج الأقلام الأربعة: الجليل والطومار والثُّلُث والثلثين واشتقاق بعضهما من بعض، قال ابن النديم: «قُطْبَة أكتب الناس على الأرض بالعربية». ثم كان بعده الضَّحَّاك بن عَجْلان الكاتب في أول خلافة بني العباس فزاد على قُطْبَة فكان بعده أكتب الخلق. ثم كان بعده إسحاق بن حَمَّاد في خلافة المنصور بالله والمهدي بالله العباسيين [١١٤].

أما أشهر كُتّاب المصحف في عصر الخليفة هارون الرشيد فكانا خُشْنام البصري ومَهْدي الكوفي، يقول ابن النديم: «لم يُر مثلهما إلى حيث انتهينا» [١١٥]، وأيضًا أبو حُدَي الذي كان يكتب المصاحف اللطاف في أيام المعتصم [١١٦].

[١١٠] ابن النديم: الفهرست ٩.
[١١١] نفسه ٩.
[١١٢] نفسه ٥٩.
[١١٣] ابن أبي داود السجستاني: كتاب المصاحف ١٣١؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤: ١٣٩.
[١١٤] ابن النديم: الفهرست ١٠.
[١١٥] نفسه ٩.
[١١٦] نفسه ٩.

© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

ويُرَجَّح أن يكون أقدم الخطوط استعمالا فى تدوين المصحف هو الخط المكي والخط المدني الذي يعد الخط الحجازي المائل تطوراً لهما، ثم خط البصرة وخط الكوفة، وتبع ذلك بقية الأقلام التي اخترعت بقصد التحسين والتجويد، يؤيد ذلك ما ذهب إليه نولدكة فى كتابه عن «تاريخ القرآن» من أن مصحف عثمان كان بالخط المكي وأن مصحفي ابن مسعود وأبي موسى بن قَيْس كانا بالخط الكوفي [١٠٧].

ويدل على قدم الخط الحجازي (المائل) والذي استخدم في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجري، خلوه من النَّقط وحركات الإعراب.

أما **خط الـمَشْق** (وهو الخط السريع) والذي تَطَوَّر أولا في مكة والمدينة خلال القرن الهجري الأول في نفس الوقت الذي أخذ فيه الخط الكوفي المبكر في التطور، فأهم صفاته المط والامتداد الأفقي لبعض الحروف لأنه كان يُكْتَب بسرعة مما يؤدي إلى إطالة استمداداته الأفقية على حساب ارتفاع أصابعه وضيق ما بين سطوره تبعًا لذلك.

وقد نُسبَ إلى عمر بن الخطاب الخليفة الراشدي الثانى قوله : «شَرُّ القراءة الهَذْرَمَة وشَرُّ الكتابة الـمَشْق وأجود الخط أبْنَيُه» [١٠٨] وإن صح ذلك فنستطيع أن نضع هذا النوع من الخط في زمن واحد مع أقدم خطوط المصاحف وهما الخطان المكي والمدني (الحجازي) .

وقد أدَّى ما في خط الـمَشْق من التمطيط والمد غرضين: إمكان إحداث التساوي بين أطوال السطور، واتخاذ هذا التمطيط وسيلة من وسائل التجميل في الخطوط الكوفية عامة.

وقد شاع في كتابة المصاحف الكوفية عمومًا **الخط الـمُحَقَّق** وهو خط مبسوط نشأ في العراق وتُعْرَف له سلالتان إحداهما بها مسحة من التربيع أكسبتها فخامة مناسبة لتدوين القرآن وهو يجمع بين الجفاف والليونة أقرب إلى التربيع والزوايا، استخدم في كتابة المصاحف الكبرى طوال القرون الثلاثة الأولى للهجرة حتى حَلَّ محله خَطُّ النَّسْخ الأتابكي [١٠٩]، والأخرى أخف وأكثر تدويراً، استخدمت في الأغراض الكتابية العامة دون القرآن وهو ما عرف بالـمُحَقَّق الوَرّاقي أو خط التحرير الذي استخدمه الورّاقون في النَّسْخ، وهذا الخط هو الذي نال تجويداً ظاهراً فيما بعد على يد ابن مُقْلَة وعلي بن هلال البَوَّاب.

[١٠٧] إبراهيم جمعة: المرجع السابق ٦٢.

[١٠٨] أبو حيان : رسالة في علم الكتابة ٣٨؛ ابن الصلاح: مقدمة ابن الصلاح ٣٠٤.

[١٠٩] إبراهيم جمعه : المرجع السابق ٢٨.

AnIsl 31 (1997), p. 1-39 Ayman Fu'ād Sayyid
صناعة الكتاب العربى المخطوط .maḫṭūṭ-al ʿarabi-al kitāb-al Ṣinā'at
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

أما الخط البَصْري فلم تصل إلينا منه أمثلة نستطيع أن نَتَعَرَّف منها على صفته وأغلب الظن أنه كان والخط الكوفي شيئًا واحدًا لقرب ما بينهما من العهد والمكان ــ لايكاد يميز أحدهما عن الآخر إلا اختلاف في درجة الإجادة نتج عن التنافس المعروف بين مدرستي الكوفة والبصرة [١٠٢].

ويُرَجَّح أن تكون تسمية الخطوط بأسماء المدن جاءت نتيجة لأن العرب ــ الذين كانوا يجهلون الكتابة قبل الإسلام ــ تلقوا هذه الخطوط مع السلع المجلوبة فسموها بأسماء الجهات التي وردت منها، خاصة وأن الخط العربي قبل عصر النبوة قد عُرف بالخط النَّبَطي لأنه أتى إلى بلاد العرب من بلاد النَّبَط مع التجارة التي كان يمارسها القرشيون مع الأنباط، كما عُرف بـ «الحيري» و«الأنباري» لأنه أتى إلى بلاد العرب مع تجارة إقليم السَّواد عن طريق دَوْمَة الـجَنْدل. وبانتهاء الخط إلى مكة والمدينة عُرف باسميهما ثم أُطلق عليه اسم الإقليم كله حيث عرف فيما بعد «بالخط الحجازي» [١٠٣].وهي تسمية محدثة لا توجد في المصادر القديمة.

خُطوطُ الـمَصاحِف الـمُبكِّرَة

ذكر ابن النديم في «الفهرست» أن الخطوط التي كتبت بها المصاحف هى : المكي والمدني، وينقسم الخط المدني إلى الـمُدَوَّر والمثلث والتئم ــ وصفة كل من المدور والمثلث واضحة من اسميهما أما التئم فيبدو أنه جمع بين النوعين ــ ثم الكوفي والبصري والـمَشْق والتجاويد والسلواطي والمصنوع والمائل والراصف والأصفهاني والجلي والقيراموز (وهو خط العَجَم) وهو نوعان: الناصري والمدور [١٠٤].

وأضاف بعد ذلك أن الناس لم يزالوا يكتبون على مثال الخط القديم إلى أول الدولة العباسية (١٣٢هـ/ ٧٥٠م) فحين ظهر الهاشميون اختصت المصاحف بهذه الخطوط وحَدَث خَطٌ يسمى العِرَاقي وهو الـمُحقق الذي يسمى وَرَّاقي [١٠٥].

وعلى الرغم من معرفتنا بأنواع هذه الخطوط من خلال ما ذكره ابن النديم، فإنه ليس فى استطاعتنا أن ننسبها إلى أزمانها لأننا لم نعثر لها على أمثلة مؤرخة فيما عدا نماذج قليلة من الخط الحجازي (المائل) وخط الـمَشْق [١٠٦].

[١٠٢] إبراهيم جمعه: دراسة في تطور الكتابات الكوفية على الأحجار في مصر في القرون الخمسة الأولى للهجرة، القاهرة – دار الفكر العربي ١٩٦٩ ، ١٩.

[١٠٣] نفسه ١٩ – ٢٠.

[١٠٤] ابن النديم: الفهرست ٩.

[١٠٥] ابن النديم: الفهرست ١١.

[١٠٦] راجع كتاب، مصاحف صنعاء – دار الآثار الإسلامية، الكويت ١٩٨٥.

AnIsl 31 (1997), p. 1-39 Ayman Fu'ād Sayyid
صناعة الكتاب العربى المخطوط maḫṭūṭ-al ʿarabi-al kitāb-al Ṣinā'at.
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

وتذكر المصادر العربية هذا الخط الذي انتهى إلى العرب عن طريق الأنْباط بعدة أسماء منها : الخط الأنباري والخط الحيري والخط الـمَدَني والخط الـمكّي، وكلها خطوط عرفها العرب قبل الإسلام واشتقوها من خط الأنْباط، ثم عرف هذا الخط بالخط البَصْرى والخط الكُوفي وهما الخطان اللذان عرفهما العرب بعد الإسلام [٩٩].

الخَطُّ العَرَبي الـمُبكِّر

ومعلوماتنا عن هذه الخطوط المبكرة ضئيلة للغاية وقد أشار ابن النديم فى «الفهرست» إلى بعض خصائص الخطين المكى والمدنى، يقول : «فأول الخطوط العربية الخط المكى وبعده المدنى ثم البصرى ثم الكُوفى. فأما المكى والمدنى ففى ألفاته تعويج إلى يمنة اليد وأعلا الأصابع وفى شكله انضجاع يسير» [١٠٠].

وما ذكره ابن النديم يدل على أنه لم تكن هناك ثمة فروق خصائصية واضحة بين الخط المكى والخط المدنى.

وقد وَصَلَت إلينا وثيقةٌ هامةٌ تدلنا على صفة الخط المدنى وليونته هى بردية مؤرخة فى عام ٢٢هـ/ ٦٤٣م تعرف بـ «بردية أهناسية» عبارة عن إيصال باستلام أغنام صادر عن عامل لعمرو بن العاص على أهناسية من قرى مصر (وهى محفوظة فى مجموعة الأرشيدوق رينر بالنمسا برقم ٥٥٨).

كما تحتفظ المكتبة الأهلية في باريس ببعض المصاحف المكتوبة بالخط الحجازي، وأدَّى الاكتشاف الكبير الذي تم في الجامع الكبير بصنعاء اليمن في سنتي ١٩٦٥ و ١٩٧٢ إلى العثور على عدد كبير من المصاحف المكتوبة بالقلم الحجازي وبالقلم الكوفي المبكر وأغلبها مُدَوَّن على الرَّق [١٠١].

[٩٩] راجع، خليل يحيى نامى: «أصل الخط العربى وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام»، مجلة كلية الآداب ــ الجامعة المصرية ٣ (١٩٣٥)، ١ - ١١٢؛ Abbott, N., *The Rise of the North Arabic Script and its Kur'ānic development, with a full description of the Kur'ān manuscripts in the Oriental Institute*, Oriental Institute publications, t. L, Chicago 1938. ؛المنجد، صلاح الدين: دراسات فى تاريخ الخط العربى منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموى، بيروت ــ دار الكتاب الجديد ١٩٧٢؛ محمد طاهر الكردي: تاريخ الخط العربي وتطوره، بغداد ١٩٧٤؛ محمود شكري الجبوري: نشأة الخط العربي وتطوره، بغداد ١٩٧٤؛ عبدالعزيز الدالي: الخطاطة ــ الكتابة العربية، القاهرة ١٩٨٠؛ Healey, John F., «Nabataen to Arabic: Calligraphy and script development among the pre-Islamic Arabs», *MME* 5 (1990-1991), p. 41-52; Gruendler, B., *The Development of the Arabic Scripts From Nabateam Era to the First Islamic Century According to dated Texts*, Atlanta 1993.

[١٠٠] ابن النديم : الفهرست ٩.

[١٠١] Déroche, Fr., *Les manuscrits du Coran. Aux origines de la calligraphie coranique*, Paris B.N. 1983 ؛ دار الآثار الإسلامية: مصاحف صنعاء، الكويت ١٩٨٥.

AnIsl 31 (1997), p. 1-39 Ayman Fu'ād Sayyid
صناعة الكتاب العربى المخطوط .maḫṭūṭ-al 'arabi-al kitāb-al Ṣinā'at
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

أما بطانة المخطوط فكان يتم زخرفتها قبل قَصّها بقَدْر الكتاب، واستخدم في زخرفتها قوالب خاصة ذات بروز بعد تسخينها ويبدو أنها كانت قوالب كبيرة الحجم تتسع لضغط زخارف من وحدات وعناصر زخرفية كبيرة، بعكس الغلاف الخارجي الذي كان يتم تقسيمه إلى مَتْن وأركان وإطار ولسان، يحتاج كُلٌّ منها إلى نوع خاص من القوالب لا ستخدام وحدات زخرفية متكررة ومتتابعة. وكانت نفس الوحدات الزخرفية تتكرر في المتن والإطار واللسان. ولكن في أحيان أخرى اختلفت زخرفة اللسان عن زخارف العناصر الأخرى (٩٧).

وكان كثيرٌ من المجلدين والمذهبين في العصر المملوكي تُجّارًا للكتب في أسواق الوراقة بالقاهرة مثل: سالم بن محمد بن محمد القُرشي الحموي ثم القاهري الكتبي الذي «تكَسَّب بصناعة تجليد الكتب» [السخاوي: الضؤ اللامع ٣ : ٢٤٢] وعمر بن محمد إبراهيم الحلبي الكتبي الذي كان «يَتكَسَّب بصناعة التجليد» أيضًا [نفسه ٦ : ١١٥] وأبو العباس محمد بن إبراهيم بن محمد بن حطّاب الحلبي الكتبي الذي «كان بارعًا في التجليد» [نفسه ٦ : ٢٧٤ – ٢٧٥]وأبو الفتح محمد بن محمد بن أحمد بن عبدالله الشمسي الذي تَمَيَّز في صناعة التجليد والتذهيب والكتابة وعَمَل المزهرات وقَصّ الورق [نفسه ٩ : ٦] وغيرهم.

الخَطُّ العربي وتَطَوُّرُه

انتهت الأبحاث العلمية إلى أن العرب أخذوا طريقتهم في الكتابة عن طريق الأَنْباط الذين كانوا يسكنون قبل الإسلام في المناطق المجاورة للعرب الحجازيين في تبوك ومدائن صالح والعُلى في شمال الحجاز، وذلك اعتماداً على ما عُثر عليه من نقوش نبطية في هذه الأماكن مثل نقش أم الجمال الأول «٢٥٠م» ونقش النَّمَارة «٣٢٨م» (٩٨) ونقش زَبَد «٥٢١م» ونقش أسيس «٥٢٨م» ونقش حَرّان «٥٦٨م» ونقش أم الجمال الثاني الذي يرجع إلى القرن السادس الميلادي. فقد لاحظ بعض العلماء من خلال تَتَبُّع هذه النقوش ومقارنتها بأقدم ما وصل إلينا من خطوط عربية إسلامية سواء أكانت كتابات أثرية أم كتابات على الرَّقّ أو على البرديات، إن هذه النقوش النبطية يمكن أن تُمَثِّل مرحلة انتقال من الخط النَّبَطي إلى الخط العربي في صدر الإسلام.

٩٧ سهام محمد المهدي: المرجع السابق ٣.

٩٨ Bellamy, J. A., « A New Reading of the Namarah Inscription », *JAOS* 105 (1984), p. 31-48.

© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

وأغلب الجلود التي وَصَلَت إلينا خاصة بالمصاحف والرَّبْعات والتي بدأت منذ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي تَتَّخذ شكلا موحداً هو الشكل الأفقى الذي يزيد ارتفاعه عن عرضه وهو المعروف بالمصحف العمودي يتصل بها لسان خماسي الأضلاع تصل مساحته إلى ثلث حجم الكتاب بواسطة ما يُطْلَق عليه «قَنْطَرة اللسان» وهو تطور عن شكل اللسان في الكتب المبكرة.

ويتكون الغلاف من الجلدة الخارجية والبطانة الداخلية وبينهما دفوف من الورق المضغوط، أما الكتاب فيتكوّن من ملازم (كراسات) مخزومة معًا بطريقة تجعل الخيوط تبدو كالسلسلة أو الجديلة في خلفية الملازم (الكراسات) مع تقفية كعب الكتاب، أى تدويره، حتى لا يَنْصرم إلى الأمام فيما بعد.

وتَتَّصل الملازم (الكراسات) بالغلاف الجلد بواسطة الدفوف التي يثبت عليها كعب من القماش ويشبكان معًا بالكراسات من الخلف ويلتصقان بالغلاف الخارجي والبطانة الداخلية، وتترك صفحات بيضاء في أول الكتاب ونهايته لتثبيت أطراف البطانة بها من الجهتين، ثم يشبك الجميع في كعب قماش في رأس وذيل الكتاب منسوجًا في طرفيه بخيوط ملونة.

أما الغلاف الخارجي فكان من الجلد البنى بدرجاته من قطعة واحدة مع الكعب واللسان، أما البطانة فمن الجلد المبشور أو الخفيف وقد يكون من قماش الحرير الأزرق أو الأخضر بدرجاته، واستخدم الغراء في عملية لَصْق الجلود في المصاحف الكبيرة بينما استخدم النشا الـمُتَّخذ من البر والكثيراء في لَصْق جلود الكتب الصغيرة [٩٥].

أما الزخارف الموجودة على جلدة الكتاب وبطانته فقد نُفِّذت بطرق متطورة مثل القَطْع أو التفريغ على أرضية من الحرير الأزرق أو الأخضر والضغط بالأختام أو القوالب الساخنة، واستخدم التذهيب في معظم الزخارف وخاصة الـمُفَرَّغَة منها فضلا عن استخدامه مضغوطًا على بعض الأغلفة.

واستخدمت طرقٌ كثيرة في التذهيب منها الضَّغْط بالذهب المصهور أو الضَّغْط بصفائح الذهب تحت القوالب الساخنة المنقوشة، وكذلك وضع تلك الصفائح على الزخارف المضغوطة وإعادة الضَّغْط عليها. وفي أواخر القرن التاسع الهجري استخدم التذهيب بالفرشاة [٩٦].

[٩٥] سهام محمد المهدي: خصائص تجليد المخطوطات في العصر المملوكي ٢ – ٣

[٩٦] سهام محمد المهدي: المرجع السابق ٣.

AnIsl 31 (1997), p. 1-39 Ayman Fuʾād Sayyid
.maḫṭūṭ-al ʿarabi-al kitāb-al Ṣinā'at صناعة الكتاب العربى المخطوط
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

ازدهار التجليد في العصر المملوكي

أما صناعة تجليد المصاحف والكتب في مصر والشام في عصر دولة المماليك فقد بلغت أوْج عظمتها مع نهاية القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادي، ولكن أساس الزخرفة فيها كانت العناصر الهندسية والنباتية ليس غير. وانتجت لنا هذه الفترة أفخر المخطوطات وأثمن المصاحف ذات الزخارف المذهبة والجلود الفاخرة، حتى يقال أن تيمورلنك استقدم في نهاية القرن الثامن الهجري إلى بلاطه مَهَرَة المجلدين في مصر والشام [٩١].

ويعتبر القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي العصر الذهبي لصناعة تجليد الكتب في مصر والشام من حيث المهارة الفنية، وأصبح لمدينة القاهرة في عصر المماليك مركز الصدارة في إنتاج الكتب والمصاحف وزخرفتها وتجليدها، وخاصة بعد أن اجتذبت الكثير من الفنانين والمجلدين من أنحاء العالم الإسلامي وخاصة من إيران [٩٢].

ولم تقف عناية المجلدين واهتمامهم عند الجزء الخارجي للجلود بل امتدت إلى باطن الجلدة نفسها وإلى الكعب واللسان كذلك حيث زُيِّنَت هى الأخرى أبدع تزيين. وكانت معظم جلود الكتب والمصاحف في ذلك العصر تتخذ من جلود الخراف والماعز أو من جلود العجول الصغيرة [٩٣]. وقد أثّرَت فنون العمارة المملوكية وزخارفها كثيراً على فن تجليد الكتب والمصاحف، لدرجة أننا نجد الأشكال الهندسية والنباتية الموجودة على الحجر والجص والخشب، مثل الأطباق النجمية والصُرَر والجامات، مستعملة في جلود بعض المخطوطات والمصاحف التي ترجع إلى نفس العصر [٩٤].

وقد وَصَلَت إلينا أمثلة كثيرة لفن صناعة التجليد في العصر المملوكي حَفَلَت بها دور الكتب في مصر وأوربا والعالم الإسلامي، يمكن من خلالها متابعة تطوره وازدهاره ودراسة أساليب الصناعة والزخارف فيه. وكان لكثرة المنشآت الدينية والتعليمية في هذا العصر مثل المدارس والخوانق والمساجد الجامعة دورٌ في ازدهار هذه الصناعة، حيث أهدى سلاطين وأمراء المماليك الكثير من الكتب إلى هذه المدارس وأوقفوها عليها، كما أمروا بكتابة العديد من المصاحف ذات الحجم الكبير لخزائنهم وأوقفوها على هذه المدارس، وكلها تُمَثِّل نموذجًا لما وَصَلَ إليه فن الكتابة والتذهيب والتجليد في هذا العصر من تطور وازدهارلم يشهدها الكتاب العربي قبل ذلك.

[٩١] عبداللطيف إبراهيم : المرجع السابق ١٥.
[٩٢] حسن الباشا: التصوير الإسلامي في العصور الوسطى ١٦٥؛ عبداللطيف إبراهيم : المرجع السابق ١٦.
[٩٣] عبداللطيف إبراهيم: المرجع السابق ١٧.
[٩٤] زكي محمد حسن: المرجع السابق ٢٢٩؛ عبد اللطيف إبراهيم: المرجع السابق ١٩.

© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

تَطَوُّر صناعة التجليد

ومع ذلك فقد تَقَدَّم المسلمون في بعض الأقطار في فن صناعة وتجليد الكتاب وعرفوا طريقة الدَّق أو الضَّغْط، كما استخدموا التخريم والدهان والتلبيس بالقماش، وكانوا أحيانًا يقطعون الجلد بالرسم الذي يريدونه ثم يلصقونه على الأرضية الملونة ــ وهي عملية في غاية المهارة والدقة ــ عادة ما كانت تُتَّبَع في زخرفة جلدة الكتاب من الداخل ثم يُذَهِّبون الخطوط والرسوم بعد ذلك. وفي بعض الأحيان استخدم المجلدون طريقة قوامها طبقتان من الجلد تُلْصَق إحداهما فوق الأخرى (٨٦).

ولم يقف اهتمام القدماء عند تجليد الكتب فقط، بل اهتموا كذلك بصيانتها وترميمها خاصة في الكتب المتداولة في المكتبات العامة، فقد أوْقَف الخليفة الحاكم بأمر الله على دار الحِكْمَة التي أنشأها في القاهرة سنة ٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م اثنتي عشر دينارًا «لمن يَرُمّ ما يَنْقَطع من الكتب وما عساه أن يَسْقُط من ورقها» (٨٧).

ولم تقتصر صناعة التجليد على مصر وحدها، بل إن بلاد المغرب والأندلس تَفَوَّقت في هذا الفن منذ القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي (٨٨). لكن هذه الصناعة بلغت أوج ازدهارها في إيران، وخاصة في مدينة هَراة إبان القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي إذ خرج الفنانون والمجلدون على الأساليب الهندسية القديمة وأبدعوا في تأليف الزخارف من الرسوم النباتية والمناظر الطبيعية البرية ذات الحيوانات والطيور الحقيقية والخرافية (٨٩).

وقد استطاعوا الوصول إلى إتقان الزخارف المذكورة بعد أن تَخَلَّوا عن طريقة الضَّغْط بقطعة مدببة من العظم أو الخشب، أو الدق بالآلة المعدنية البسيطة التي تُنْتج الرسوم الهندسية ورسوم الفروع النباتية، واستخدموا القوالب النباتية Estampes التي كانوا يضغطون فيها الجلد بقوة فتظهر فيه النتوءات الشديدة البروز على شكل العناصر الزخرفية والحيوانية بل والصور الآدمية. ولأجل ذلك استعان المجلدون بالمصورين في تصميم بعض رسوم الجلود وعلى الأخص رسم الأشكال الآدمية والزخارف النباتية التي يبدو فيها تأثير أساليب الشرق الأقصى الفنية (٩٠).

٨٦ زكي محمد حسن: فنون الإسلام ٢٣٠ – ٢٣١؛ عبداللطيف إبراهيم: المرجع السابق ١٣.

٨٧ ابن عبد الظاهر: الروضة البهية ١٤٨ س ١٠؛ المقريزي: الخطط ١: ٤٥٩ س ١٢.

٨٨ المقري: نفح الطيب ١ : ٦١١ – ٦١٤.

٨٩ زكي محمد حسن: المرجع السابق ٢٣١.

٩٠ نفسه ٢٣١.

AnIsl 31 (1997), p. 1-39 Ayman Fu'ād Sayyid
.maḫṭūṭ-al ʿarabi-al kitāb-al Ṣinā'at صناعة الكتاب العربى المخطوط
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

وللأسف الشديد لم تصل إلينا أي جلود ترجع إلى هذه الفترة المبكرة تمكننا من متابعة تطور هذه الصناعة خلال هذه الفترة.

وقد ذكر لنا ابن النديم في نهاية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، أسماء عدد من المجلدين منهم ابن أبي الحريش الذي كان يُجَلِّد في خزانة الخليفة المأمون العباسي، وأبو عيسى بن شيران ودميان الأعْسَر بن الحَجّام إبراهيم والحسين بن الصَّفّار [٨١].

وذكر الرحّالة الفلسطيني المقدسي البشاري (ألّف كتابه سنة ٣٧٨هـ/ ٩٨٩م) أنه تَعَلَّم أثناء إقامته في مصر صناعة التجليد، وكان من بين ألقابه لقب وَرّاق ومُجَلِّد حيث كان يُجَلِّد المصاحف بالأجر [٨٢].

وكانت الجلود الأولى فى القرنين الثالث والرابع للهجرة/ التاسع والعاشر للميلاد، تُصْنَع من خشب السِّدْر المغطى بالجلد والمزين بالرسوم الهندسية العادية وبدون تذهيب غالبًا. أما المصاحف الكبيرة الحجم والخاصة بالمساجد الجامعة فكانت تُجَلَّد بالخشب المزخرف عن طريق تطعيمه بالعاج والعَظْم والسَّدَف أو تثبيته على طبقة من الغراء الشديد، ثم استخدم الورق المضغوط أو المُقَوَّى عوَضًا عن الخشب في تقوية غلاف الكتاب. وبعد انتشار صناعة الورق أَقْبَل الناس على تجليد المصاحف والكتب بالورق والجلد مع استخدام الزَّخارف الـمُكَوَّنَة من الرسوم والخطوط المتشابكة في تزيين هذه الجلود [٨٣]، كما استخدم الديباج والحرير في تبطين جلود هذه الكتب، فيذكر الخطيب البغدادي أن كتب أصحاب الحَلاج التي جمعها حامد بن العباس وزير المقتدر بالله العباسي في محنة الحَلاج كانت «مُبَطَّنَة بالديباج والحرير، مجلدة بالأديم الجَيِّد» [٨٤].

وللأسف فإننا لا نعرف الكثير عن جلود الكتب التي ترجع إلى العصر الإسلامي الـمُبكِّر، فما وَصَلَ إلينا منها شيءٌ قليلٌ، وإن كان أكثرها قد صنع في مصر، وتتألَّف زخارفها من أشكال هندسية وخطوط مجدولة أو تُؤَلِّف أشكالا بيضاوية وكلها مقتبسة من زخارف جلود الكتب القبطية. ويرجع فَقد كل أثر لنماذج هذا التجليد المبكر بسبب تدمير المكتبات الإسلامية الكبرى، فقد تَفَرَّقَت مكتبة الفاطميين وأُحرق قسم كبير منها، أولا إبان الشدة العظمى حيث أخذ العبيد جلود هذه الكتب «برسم عمل ما يلبسونه في أرجلهم»، ثم بعد استيلاء صلاح الدين على السلطة في مصر سنة ٥٦٧هـ/ ١٠٧٢م، كما دُمِّرت خزانة الكتب في بغداد بعد سقوطها واجتياح المغول لها سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م [٨٥].

٨١ ابن النديم: الفهرست ١٢.
٨٢ المقدسي: أحسن التقاسيم ٣٣, ٣٤، ١٠٠.
٨٣ عبداللطيف إبراهيم:المرجع السابق ١١ – ١٢.
٨٤ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٨ : ١٣٥.
٨٥ المقريزي: الخطط ١ : ٤٠٩ س ٩؛عبداللطيف إبراهيم: المرجع السابق ١٢ – ١٣.

AnIsl 31 (1997), p. 1-39 Ayman Fu'ād Sayyid
.maḫṭūṭ-al ʿarabi-al kitāb-al Ṣinā'at صناعة الكتاب العربى المخطوط
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

أن يُؤلِّف كتابًا يشرح فيه خطوات عملية تجليد الكتب وصناعتها. ويقع الكتاب في عشرين بابًا ينقسم بعضها إلى فصول فيما يلي بياناتها:

١ – باب الأداة.
٢ – باب الأغرية.
٣ – باب التخزيم وحكمه.
٤ – باب التقفية.
٥ – باب التسوية.
٦ – باب الحبك وحكمه.
٧ – باب التبطين.
٨ – باب البَشْر.
٩ – باب تركيب الجلد.
١٠ – باب العمل في الأسفار البوالي.
١١ – باب طَبْخ البَقم.
١٢ – باب النَّقْش.
١٣ – باب نَقْش الضَّرْس.
١٤ – باب الأمثلة.
١٥ – باب العمل في الأزرة والغرا.
١٦ – باب العمل في أقربة المصاحف.
١٧ – باب العمل في الأقربة المبنية.
١٨ – باب العمل في الجوامع.
١٩ – باب في النكت.
٢٠ – باب في العيوب.

التجليد الـمُبكِّر

في بداية الأمر كانت أوراق المخطوط تُجْمَع بين لوحين من الخشب بينهما كَعْبٌ، وأضيف إلى هذا التجليد البدائي كُسْوة من الرّق أو الجلد أو القماش أو صفائح المعدن، ثم أضيف إلى ذلك كله قِفْل أو أبزيم واحد أو أكثر ليمكن قفل المجلد قفلا محكمًا، لذلك كانت هذه الكتب ثقيلة الوزن جدًا [٧٩].

ويرجع صناعة أقدم جلود الكتب المعروفة في العصور الإسلامية إلى مصر ويمكن تأريخها فيما بين القرنين الثالث والخامس للهجرة، وتُذكِّرنا زخارف هذه الجلود بالزخارف الهندسية في جلود بعض الكتب القبطية التي ترجع إلى هذه الفترة.

وقد تَعَلَّم المسلمون أساليب التجليد عن القبْط في أعقاب فتح مصر، فقد حَذَق الأقباط هذه الصناعة في العصر المسيحي ونقلوها إلى سائر أنحاء العالم الإسلامي. وكانت أساليب التجليد في القرون الإسلامية الأولى في مصر تُنْسَج على منوال ما عرفه القِبْط من حيث الصناعة والشكل والزخرفة لحد كبير [٨٠].

[٧٩] عبداللطيف إبراهيم: التجليد في مصر الإسلامية ٨.

[٨٠] زكى محمد حسن: فنون الإسلام ٢٣٠؛ عبداللطيف إبراهيم: المرجع السابق ٩.

AnIsl 31 (1997), p. 1-39 Ayman Fu'ād Sayyid
صناعة الكتاب العربى المخطوط .maḫṭūṭ-al ʿarabi-al kitāb-al Ṣināʿat
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

صناعة التجليد (التَّسْفير)

لَعَلَّ من الغريب أن كل المؤلفات التي وَصَلَت إلينا عن صناعة الكتاب العربي المخطوط كتبت كلها في بلاد المغرب والأندلس [٧٧]، فرغم أن حِرْفَة «الوراقة» وهى الحِرْفَة المختصة بإنتاج وتوزيع الكتاب العربى قد لعبت دورًا هامًا في الحضارة الإسلامية منذ العصر العباسى، فإنه لم يصل إلينا أدبٌ مشرقيٌ يُعَرِّف بكيفية صناعة الكتاب المخطوط، وربما تكشف لنا الأيام عن وجود مثل هذا الأدب في الخزائن غير المفهرسة.

ومع ذلك فإن ما وَصَلَ إلينا من هذه المؤلفات على نذارته مفيدٌ ومتكاملٌ ويَتَعلَّق أغلبه بصناعة التجليد (التَّسْفير) التي تُعَدّ الصناعة المتممة للجُهْد والمحافظة على حصيلة الفكر والحافظة لأوراق الكتاب من التلف، والتي تهتم كذلك بالعناية بمظهر الكتاب الخارجى بحيث يتلاءم مع قيمته ومحتوياته، وتظهر آثارُ هذه الصناعة الفنية على الخصوص فيما وَصَلَ إلينا من مصاحف كريمة ورَبْعات شريفة.

وتعتمد هذه الصناعة على توظيف بعض المواد المفردة مثل : الجلد والحرير والورق الـمُلَبَّد والخشب والخيط والغراء، بالإضافة إلى حِرَفِيَّة الصانع فى الحَبْك والقَصّ والوَشْم والرَّشْم وغير ذلك.

وإذا كان الفصل الثاني عشر من كتاب «عُمْدَة الكُتّاب» الذي أُلِّف للأمير الصِّنْهاجي تميم بن المعز بن باديس، يُعَدُّ أقدم نَصٍّ متكامل وبَيِّن يعرض آلات الـمُجَلِّد ومناقشه ويشرح طريقة الحَبْك وكيفية اختيار الجلود الملائمة وإعدادها وبَشْرها وشَدّها وطريقة تثبيتها [٧٨]؛ فإن كتاب «التيسير في صناعة التَّسْفير» للشيخ بكر بن إبراهيم الإشبيلي المتوفى سنة ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م هو أشمل كتاب تناول موضوع تجليد الكتب، وكان مؤلّفه، كما يقول ابن الزبير: «يحترف تسفير الكتب» فلا عجب

٧٧ انظر فيما سبق ص ١ – ٢.

٧٨ انظر ما تقدم ص ٢ وكذلك عبدالستار الحلوجي: المخطوط العربي ٢٣١ – ٢٤٧؛ عبداللطيف إبراهيم: «التجليد في مصر الإسلامية ــ جلدة مصحف بدار الكتب المصرية» في كتاب دراسات في الكتب والمكتبات الإسلامية، القاهرة ١٩٦٢؛ سهام المهدي: تجليد الكتب في مصر في العصر المملوكي ــ رسالة ماجستير بكلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٤؛ اعتماد يوسف القصيري: فن التجليد عند المسلمين. بغداد ١٩٧٩؛ Gulnar Bosch, John Carswell and Guy Petherbridge, *Islamic Binding and Bookmaking*, Chicago 1981; Gacek, Adam, « Arabic bookmaking and terminology as portrayed by Bakr al-Išbīlī in his *Kitāb al-taysīr fī ṣināʿat al-tasfīr* », *MME* 5 (1990-1991), p. 106-113.

. AnIsl 31 (1997), p. 1-39 Ayman Fuʾād Sayyid
.maḫṭūṭ-al ʿarabi-al kitāb-al Ṣinā'at صناعة الكتاب العربى المخطوط
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

صَنْعَة المداد

نَقَلَ القلقشندي عن الوزير أبي علي بن مُقْلَة صفة صَنْعَة للمداد الجيد، قال:

«وأجود المداد ما اتُّخذَ من سخام النِّفْط، وذلك أن يؤخذ منه ثلاثة أرطال فيجاد نخله وتصفيته، ثم يُلْقى في طِنْجير ويصب عليه من الماء ثلاثة أمثاله، ومن العَسَل رطلٌ واحدٌ، ومن الملح خمسة عشر درهمًا، ومن العَفْص عشرة دراهم ولا يزال يُساط على نار لَيِّنَة حتى يُثخن جِرْمَه ويصير فى هيئة الطين، ثم يُتْرك في إناء ويُرفَع إلى وقت الحاجة» (٧٤).

وكانت هناك أنواعٌ من الحبر تناسب الكتابة على الرَّق وأخرى تناسب الكتابة على الكاغَد (الورق). وقد أورد القلقشندي كيفية صناعة كلٍ من النوعين.

ففيما يناسب الرَّق:

«يؤخذ من العَفْص الشامى رِطْلٌ واحد فيُجْرَش، ويلقى عليه من الماء العذب ثلاثة أرطال، ويجعل في طنجير، ويوضع على النار ويوقد تحته بنار لَيِّنَة حتى ينضج، وعلامة نضجه أن تكتب به فتكون الكتابة حمراء بَصَّاصَة ثم يلقى عليه من الصَّمغ العربي ثلاث أواق، ومن الزاج أوقية ثم يصفى ويودع في إناء جديد، ويستعمل عند الحاجة».

صفة حبر سَفَري: يعمل على البارد من غير نار، يؤخذ العفص فيُجْرش جرشا جيِّدًا ويسحق لكل أوقية عَفْصٍ درهم واحد من الزاج، ودرهم من الصمغ العربيّ، ويلقى عليه ويرفع إلى وقت الحاجة. فإذا احتاج إليه صُبَّ عليه من الماء قدر الكفاية واستعماله» (٧٥).

ففيما يناسب الكاغَد:

«يؤخذ من العَفْص الشامى قدر رطل يُدَقّ جريشا ويُنْقَع في ستة أرطال ماء مع قليل من الآس: (وهو المرسين) أسبوعًا، ثم يغلى على النار حتى يصير على النصف أو الثلثين، ثم يصفى من مئزر ويترك ثلاثة أيام، ثم يصفى ثانيًا، ثم يضاف لكل رطل من هذا الماء أوقية من الصمغ العربي، ومن الزاج القبرسي كذلك، ثم يضاف إليه من الدخان المتقدم ذكره ما يكفيه من الحلاكة. ولابد له مع ذلك من الصبر والعسل ليمتنع بالصبر وقوعُ الذباب فيه، ويحفظ بالعسل على طول الزمن ويجعل من الدخان لكل رطل من الحبر [ثلث أوقية] بعد أن تسحق الدخان بكُلْوة كَفِّك بالسكر النبات والزعفران الشعر والزِّنجار إلى أن تجيد سحقه، ولا تصحنه في صلاية ولا هاون يَفْسُد عليك» (٧٦).

٧٤ القلقشندي: صبح الأعشى ٢ : ٤٧٥.
٧٥ نفسه ٢ : ٤٧٦ – ٤٧٧.
٧٦ نفسه ٢: ٤٧٦.

AnIsl 31 (1997), p. 1-39 Ayman Fu'ād Sayyid
.maḫṭūṭ-al 'arabi-al kitāb-al Ṣinā'at صناعة الكتاب العربى المخطوط
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

أصادف لها شبيهًا ذاكرًا بالكتابة والتصريح أنه يمر ــ كما نصطلح بلغة اليوم ــ بأزمة عاطفية، عاقته عن مواصلة بسط مقالات الكتاب» [٧١].

ومن أهم ما يذكره ابن ميمون المراكشي في هذا الكتاب، وَصْفات لتركيب المداد منسوبة لكبار العلماء والأدباء الذين تركوا في الثقافة الإسلامية أثرًا كبيرًا مثل: عيسى بن عمر النحوي المتوفى سنة ١٤٩هـ/ ٧٦٦م، ومُسْلم بن الوليد المتوفى سنة ٢٠٨هـ/ ٨٢٣م، وأبو عثمان عمرو بن بَحْر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م،ومحمد ابن إسماعيل البخارى المتوفى سنة ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م، وبختيشوع الطبيب المتوفى سنة ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م، ومُسْلم بن الحَجّاج القُشَيْري المتوفى سنة ٢٦١هـ/ ٨٧٥م، وعبد الله بن مُسْلم بن قُتَيْبَة المتوفى سنة ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م، ومحمد بن زكريا الرازي المتوفى سنة ٣١٣هـ/ ٩٢٥م، وأبو على محمد بن مُقْلَة المتوفى سنة ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م، وأبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني المتوفى سنة ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م، وأبو حيان علي بن محمد التوحيدي المتوفى سنة ٤١٤هـ/ ١٠٢٤م، وعلي بن هلال البَوَّاب المتوفى سنة ٤٣٢هـ/ ١٠٣٢م، وعلي بن هبة الله بن ماكولا المتوفى سنة ٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م وآخرون.

ولم يترَدَّد المؤلف بعد ذكره لصفة الحبر الذي كان يستخدمه الوزير ابن مُقْلَة عن تسجيل أنه من تركيب أهل الهند كما قيل له وهو بالمدرسة المستنصرية ببغداد. وهي المرة الأولى التي نعرف فيها هذا العدد من الأحبار منسوبة لأصحابها من أهل العلم وقد ارتكزت أمِدَّة هؤلاء الأعلام على مفردات مشتركة بينها هي: العَفْص noix de galle والزّاج vitriol والصَّمْغ gomme arabique والماء العذب.

وكان بعضهم يستغني عن الصَّمْغ اكتفاء بتألُّق السواد وثباته غير محتاج إلى ما يشدّه إلى الورق أو الرَّق، وهذا ما كان عليه حبر مُسْلم بن الوليد والجاحظ والبخاري [٧٢].

أما كتاب «تُحَف الخواص في طُرف الخواص» للقللوسي الأندلسي المتوفى سنة ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م، فنادر في وجوده وترتيبه ووضوح محتواه. وهو ينقسم إلى ثلاثة أبواب، اختص الباب الأول بصناعة الأمدَّة ، وتناول الباب الثاني كيفية محو (قلع) المداد من الدفاتر والحبر من الكتب والصباغ من الثياب، أما الباب الثالث فقد اشتمل على فوائد تتصل بخواص المفردات المكونة لأصناف من المواد والأصباغ وطرق إعدادها [٧٣].

٧١ Chabbouh, Ibr., *op. cit.*, p. 66.

٧٢ *Ibid*, p. 66-67.

٧٣ *Ibid.*, p. 72-73.

© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

الحِبْرُ والمــداد

والركن الثانى فى صناعة الكتاب العربى المخطوط هو الحِبْر والمداد. يقول القَلْقَشَنْدي:

«الحبر أصله اللون، يقال فلان ناصع الحبر يراد به اللون الخالص الصافى من كل شىء....

.... والحِبْر: الأثر يبقى في الجلد... قال الـمُبَرِّد: وأنا أحسب أنه سُمِّيَ بذلك لأن الكتاب يُحَبَّر به أي يُحَسَّن، أخْذًا من قولهم: حَبَّرْتُ الشيء تحبيرًا إذا حَسَّنْتُه» (٦٧).

«أما المداد فسُمِّيَ بذلك لأنه يَمُدُّ القلم أي يُعينه ، وكل شيء مددت به شيئًا فهو مداد... [و] سُمِّيَ الزَّيْتُ مدادًا لأن السِّراج يُمَدُّ به، فكل شيء أمددت به الليقة (٦٨) مما يكتب به فهو مداد، وقال ابن قُتَيْبَة في قوله تعالى ﴿قُلْ لَوْ كَانَ البَحْرُ مِدَادًا لكَلِمَات رَبِّى﴾: هو من المداد لا من الإمداد» (٦٩).

ويعد كتاب «الأزهار في عمل الأحبار» لمحمد بن ميمون بن عمران المراكشي الحميري السابق الإشارة إليه (٧٠)، من أوائل الكتب المؤلَّفَة في هذا الموضوع وقد وَصَلَ إلينا في نسخة بخط مؤلفها Autographe وقَسَّمَه إلى سبع وعشرين مقالة لم يُتِّم منها سوى المقالات الست الأولى وعنوان المقالة السابعة وقد تناول فيها أهم الطرائق المستخدمة في تركيب الحبر والمداد.

ولاحظ الأستاذ إبراهيم شبوح الذي اهتم بدراسة هذا الكتاب أنه برغم أن المؤلف استطاع أن يُدَوِّن التجارب التقنية وأن يُقَدِّم عمله بمقدمة موضِّحَة إلا أن معرفته بالعربية والتحكم في استعمالها كانت محدودة لما يتخلّل بعض نصوصه من غموض في المدلولات وتكلُّف في العبارة وخطأ في الرَّسْم وارتباك في العائد والموصول وخَلْط وغَلَط في وَضْع الحركات على الأحرف.

واعترف المؤلف في مقدمته أنه أقبل في هذا التدوين على إثبات المنقول عن العلماء المتقدمين، ولم يسعفه الوقت لتمحيص كل ذلك بإعادة التجربة الشاملة إلا البعض الذي وصل إلى معرفة حقيقته. وينهي ابن ميمون مدخل كتابه ببرنامج مُفَصَّل لسبع وعشرين مقالة قَسَّم كلا منها إلى أبواب، وهو أوسع وأشْمَل ما فُصِّل عن فنون الحبر. غير أنه للأسف الشديد لم يصل إلينا من هذه الأبواب غير المقالات الست الأولى متممة وذكْر عناوين أبواب المقالة السابعة فقط، وليس الكتاب مبتوراً منقطعًا كما يتبادر إلى الذهن وإنما تَوَقَّف المؤلف عامدًا كما يقول إبراهيم شبوح «بطريقة لم

٦٧ القلقشندي : صبح الأعشى ٢ : ٤٧٢.

٦٨ الليقة: ويسميها العرب الكُرْسُف تسمية لها باسم القُطْن الذى تتخذ منه في بعض الأحوال، وتكون أيضًا من الصوف ومن الحرير الخشن لأن انتفاشها في المحبرة وعدم تلبدها أعون على الكتابة. ويتعيّن على الكاتب تجديدها فى كل شهر. (نفسه ٢ : ٤٦٨ – ٤٧٠).

٦٩ نفسه ٢ : ٤٧١.

٧٠ أنظر ما تقدم ص ٢.

AnIsl 31 (1997), p. 1-39 Ayman Fuʾād Sayyid
صناعة الكتاب العربى المخطوط maḫṭūṭ-al ʿarabi-al kitāb-al Ṣināʿat.
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

ويضيف العلامة حسن حسني عبدالوهاب في مقاله الهام عن البردي والرَّق والكاغَد فى إفريقية التونسية:

« بلغ أهل إفريقية في صناعة تجهيز الرَّق وصَقْله وتمحيره وصَبْغه أحيانًا بألوان مختلفة ما بين أخضر ولازوردي وأحمر قان، الغاية القصوى في الاتقان والنعومة حتى صار الرَّق من السِّلَع التى يتجهَّز فيها ويرتفق بها إلى جميع آفاق المغرب والأندلس والعدوة الأفرنجية.

.....

ودامت صناعة الرَّق فى القيروان ــ وإفريقية عمومًا في نمو وازدهار دهرًا طويلا، وقد كتبت عليه المصاحف والصكوك والعقود إلى آخر القرن الثامن للهجرة على حين نجد أن الرَّق انقطع استعماله في المشرق

.....

على أن وجود الرَّق واستعماله في كتابات معينة لم يمنع الأفارقة من اتخاذ الكاغَد والكتابة عليه فقد كانا مستعملين معًا في وقت واحد.

.....

وتجدر الملاحظة هنا إلى أن سكان المغرب وحدهم هم الذين حافظوا إلى الآن على تسمية ورق الكتابة (بالكاغَد أو الكاغض) وهو اسمه الأصلي في لغة أهل الصين، أما لَفظَة الورق المستعمل في الشرق العربي فقد أطْلقت عليه مجازًا» [٦٣].

ويؤكد ذلك ما ذكره القلقشندى فى مطلع القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي الذي ذَمَّ الورق الذي يعمله أهل المغرب، بعد أن وصف ورق العراق والشام ومصر قال:

«ودون ذلك ورق أهل الغرب والفر نجة فهو ردئ جداً سريع البليّ قليل المكث؛ ولذلك يكتبون المصاحف غالبًا فى الرَّق على العادة الأولى طلبًا لطول البقاء» [٦٤].

ورغم هذه الإشارات الهامة إلى الكاغَد وأنواعه فإننا لا نكاد نعرف عن صناعته غير وَصْفات محدودة ومجزؤة في بياناتها [٦٥] لا تعيننا على فهم التركيب الصناعى لأصناف الكاغَد العديدة التي كتبت عليها المخطوطات القديمة مع ما فيها من تَنَوُّع أساليب الصناعة والمكونات وطرق السَّقْي والصَّقْل والتلوين وقلة الأحماض؛ ولا يمكننا من خلالها أن نحدد النماذج الورقية لتلك المسميات القديمة والأحدث عهداً منذ ابن النديم إلى القلقشندي [٦٦].

[٦٣] حسن حسنى عبدالوهاب: «البردي والرَّق والكاغَد فى إفريقية التونسية»، مجلة معهد المخطوطات العربية ٢ (١٩٥٦) ٤١ – ٤٥.

[٦٤] القلقشندى: صبح الأعشى ٢ : ٤٨٨ وانظر محمد المنوني: «تقنيات إعداد المخطوط المغربى»، فى كتاب المخطوط العربي وعلم المخطوطات (إعداد أحمد شوقى بنبين) ٢٠ – ٢١.

[٦٥] المعز بن باديس (المنسوب لـ) : عمدة الكتاب ١٤٧ – ١٤٩.

[٦٦] Chabbouh, Ibr., *op. cit.*, p. 60-61.

© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

وانتشر فى مصر كذلك صناعة الورق (الكاغَد) حيث انتشر بفسطاط مصر «مطابخ الورق» فى القرنين الخامس والسادس للهجرة وخاصة الورق المعروف بـ«الورق الطَّلْحي» و«الورق المنصوري» (٥٥). ويذكر الرحالة الأندلسي ابن سعيد الذي زار مصر في أول عهد الدولة المماليكية أن :

«مطابخ السُّكَّر والمطابخ التي يُصْنَع فيها الورق المنصوري مخصوصة بالفُسْطاط دون القاهرة» (٥٦).

وأشار المقريزي عند ذكره لخطة بني رَيَّة بن عمرو بن الحارث إلى أن:

«هذا الموضع اليوم وَرّاقات يعمل فيها الورق بالقرب من باب القَنْطَرة خارج مصر» (٥٧).

كذلك فقد تحوّلت دار الفِطْرَة التي أقامها الوزير الأفضل شاهنشاه الفاطمي في الفسطاط إلى وَرّاقة، يقول المقريزي:

«ثم استَجَدّ للفِطْرَة دارًا عملت بعد ذلك وَرّاقَة وهي الآن دار الأمير عز الدين الأفْرَم بمصر قبال دار الوكالة» (٥٨).

وفي فترة متأخرة وُجِدَ بالقاهرة خان للوراقة يقول المقريزي أيضًا في حديثه عن خُطّ سوَيْقة أمير الجيوش:

«وهذا الخُطّ فيما بين حارة بَرْجَوان وخُطّ خان الوراقة» (٥٩).

أما الأندلس وشمال أفريقيا فقد انتقلت إليها صناعة الورق فى مرحلة متأخرة نسبيًا واشتهرت به مدينة شاطِبَة الأندلسية، يقول الشريف الإدريسى:

«ويُعْمَل بها من الكاغَد ما لا يوجد له نظير بمعمور الأرض ويعم المشارق والمغارب» (٦٠).

ويؤكد ذلك ياقوت الحموي حيث يقول:

«ويُعْمل الكاغَد الجيد فيها، ويُحْمَل منها إلى سائر بلاد الأندلس» (٦١).

وفى إفريقية ظَلَّ الرَّق لفترة طويلة هو الوسيلة الوحيدة لتقييد الكتابة، يقول الرحالة المقدسي البشارى عن أهل إفريقية نحو عام ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م:

«وكل مصاحفهم ودفاترهم مكتوبة فى رقوق اللهم إلا ما كان ينبت من البردي في جزيرة صقلية في ذلك الزمان» (٦٢).

٥٥ Goitein, S. D., *A Med. Soc.* 1, 81.

٥٦ ابن سعيد: االنجوم الزاهرة فى حُلى حضرة القاهرة ٢٩؛ المقريزى: مسودة المواعظ والاعتبار ٢٧ والخطط ١ : ٣٦٧.

٥٧ المقريزى: الخطط ١ : ٢٩٧ س ٢٣ ، ١ : ٥ س٥.

٥٨ نفسه ١ : ٤٢٦ س ٢٤.

٥٩ نفسه ٢ : ٣٦ س ٢.

٦٠ الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ٥٥٦.

٦١ ياقوت : معجم البلدان ٣ : ٢٣٥.

٦٢ المقدسي: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ٢٣٧.

AnIsl 31 (1997), p. 1-39 Ayman Fu'ād Sayyid
صناعة الكتاب العربى المخطوط .maḫṭūṭ-al ʿarabi-al kitāb-al Ṣināʿat
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

التزوير، بخلاف الورق فإنه متى مُحيَ منه فَسَدَ وإن كُشطَ ظهر كَشْطُه. وانتشرت الكتابة في الورق إلى سائر الأقطار وتعاطاها من قَرُبَ وبَعُدَ واستمر الناس على ذلك إلى الآن» (٤٨).

واستمرت صناعة الورق ببغداد في الازدهار وكثرت بها معامل صناعته وحوانيت بيعه، يقول الصولي:

«وَقَعَ بالكَرْخ [فى ذي القعدة سنة ٣٣٢] حريقٌ عظيمٌ، من حد طاق التكك السَمّاكين، وعطف على أصحاب الكاغَد وأصحاب النِّعال» (٤٩).

كما كانت « دار القَزّ» وهى تقع في الجانب الغربي من بغداد، مكانًا لصناعة الكاغَد في أوائل القرن السابع الهجري، يقول ياقوت:

«وفيها يُعْمَل اليوم الكاغَد» (٥٠).

وأشار ياقوت إلى مكان آخر كان يُصْنَع فيه الورق في بغداد في زمانه عند حديثه على «جهار سوج» يقول إنها :

«من محال بغداد، في قبلة الحربية، خرب ما حولها من المحال، وبقيت هي والنصرية والعتابيون ودار القَزّ متصلة بعضها ببعض كالمدينة المفردة في آخر خراب بغداد. يُعْمَل في هذه المحال في أيامنا هذه الكاغَد» (٥١).

وفي الشام كانت مدينة طرابلس من أهم مراكز صناعة الورق. وعندما زار ناصر خسرو هذه المدينة في سنة ٤٣٨هـ/ ١٠٤٧م أطرى ورقها بقوله إن أهل هذه المدينة

«يصنعون بها الورق الجميل مثل وَرَق سَمَرْقَنْد بل أحسن منه» (٥٢).

وكانت طَبَريّة تتميَّز كذلك في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بصناعة الكاغَد، وأيضًا كان لدمشق سمعة كبيرة في هذه الصناعة (٥٣).

ووَصَف الأستاذ محمد كُرْد علي وَرَق الشام وصناعته بقوله:

«وكان الورق يصنع أشكالا في مكابس صغيرة، ويُعْمَل من الخروق البالية أو الحرير، واستبدل ورق القطن الذي منه الورق الدمشقي بالحرير في سنة ٧٠٦م رجلٌ اسمه يوسف بن عمرو. ولا يزال في خزانة دار الكتب العربية بدمشق كتابٌ كتب سنة ٢٦٦هـ على ورق يُظن أنه من الورق الشامي، وهو أقدم مخطوط عرف بالشام ولا يزال على متانته» ٥٤.

٤٨ القلقشندي : صبح الأعشى ٢ : ٤٨٦.

٤٩ الصولي: أخبار الراضي بالله والمتقي بالله من كتاب الأوراق ٢٦٠.

٥٠ ياقوت : معجم البلدان ٢ : ٥٢٢.

٥١ نفسه ٢ : ١٦٧؛ وكوركيس عواد: المرجع السابق ٤٢٧ – ٤٢٨.

٥٢ ناصر خسرو : سفرنامة ٤٨، كوركيس عواد : المرجع السابق ٤٢٩.

٥٣ كوركيس عواد : المرجع السابق ٤٢٩.

٥٤ محمد كرد علي: خطط الشام ٤ : ٢٤٣؛ كوركيس عواد : المرجع السابق ٤٣٠.

© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

ودونه في الرتبة «الشامي» وهو على نوعين: نوع يعرف بـ«الحَمَوي» وهو دون القَطْع البغدادي، ونوع دونه في القدر هو المعروف بـ «الشامي» (؟) وقَطْعُه دون القَطْع الحموي.

ودونهما في الرتبة «الورق المصري» وهو أيضًا على قطعين: القطع المنصوري وقطع العادة، والمنصوري أكبر قطعًا وقلما يُصْقَل وجهاه جميعًا، وأما العادة فإن فيه ما يُصْقَل وجهاه ويسمى فى عُرْف الورّاقين «المَصْلوح» (٤٥).

ولكن صناعة الورق لم تلبث أن انتشرت في سائر الأمصار الإسلامية ولم تعد حكْرًا على خُراسان وسَمَرْقَنْد خاصةً بعد أن نشأت مهنة الورّاقين، يقول ابن خَلْدون:

«كثرت التآليف العلمية والدواوين، وحرص الناس على تناقلهما فى الآفاق والأمصار فانْتُسخَت وجُلِّدَت، وجاءت صناعة الورّاقين المعانين للانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين واختصت بالأمصار العظيمة العمران.

وكانت السجلات أولا لانتساخ العلوم وكتب الرسائل السلطانية والإقطاعات والصكوك في الرقوق المهيأة بالصناعة من الجلد، لكثرة الرَّفَه وقلة التآليف فى صدر الملة كما نذكره، وقلة الرسائل السلطانية والصكوك مع ذلك، فاقتصروا على الكتاب في الرّق تشريفًا للمكتوبات وميلا بها إلى الصحة والإتقان.

ثم طما بحر التآليف والتدوين وكثر ترسيل السلطان وصكوكه وضاق الرّق على ذلك، فأشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغَد، وصنعه وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه، واتَّخَذه الناس من بعده صُحُفًا لمكتوباتهم السلطانية والعلمية، وبلغت الإجادة في صناعته ماشاءت» (٤٦).

وهكذا انتقلت صناعة الورق (الكاغَد) إلى العراق بفضل الفَضْل بن يحيى البَرْمَكي الذي أنشأ أول معمل لصُنْع الورق في بغداد (توفي الفضل سنة ١٩٣هـ/ ٨٠٨م) ولم تمض سوى بضع سنين حتى كان أخوه جعفر بن يحيى البَرْمَكي، الذي أعقبه في دَسْت الوزارة، قد أحَلّ الورق محل الرّق في دواوين الدولة (٤٧).

وكانت بداية صناعة الورق وانتشاره في العراق لأسباب حدَّدها القلقشندي عندما قال:

«أجمع رأي الصحابة رضي الله عنهم على كتابة القرآن في الرّق لطول بقائه، أو لأنه الموجود عندهم حينئذ. وبقي الناس على ذلك إلى أن ولي الرشيد الخلافة ــ وقد كثر الورق وفشا عمله بين الناس ــ أمر أن لا يكتب الناس إلا في الكاغَد لأن الجلود ونحوها تقبل المحو والإعادة فتقبل

٤٥ القلقشندي: صبح الأعشى ٢ : ٤٨٧.

٤٦ ابن خلدون : المقدمة ٩٧٣ - ٩٧٤.

٤٧ كوركيس عواد: المرجع السابق ٤٢٦.

AnIsl 31 (1997), p. 1-39 Ayman Fu'ād Sayyid
صناعة الكتاب العربى المخطوط maḫṭūṭ-al ʿarabi-al kitāb-al Ṣināʿat.
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

وذكر السَّمْعاني ضربًا آخر من الورق سمّاه «الكاغَد المنصوري» وهو مشهور بسَمَرْقَنْد، ويُنْسَب إلى أبي الفضل منصور بن نصر بن عبدالرحيم الكاغدي المتوفى بسَمَرْقَنْد سنة ٤٢٣هـ/ ١٠٣١م [٤٣].

وكانت خزائنُ الكتب لا تخلو من أنواع الكواغيد المختلفة فقد كان علي بن هلال البَوّاب الخطاط المشهور يتصرَّف في خزانة كتب بهاء الدولة بن عَضُد الدولة بشيراز وأثناء بحثه فيها وَجَدَ مصحفًا من ثلاثين جزءًا بخط ابن مُقْلَة ينقص جزءًا فحمله إلى بهاء الدولة الذى طلب منه أن يُتَمِّمه له فقال له:

«السَّمْعُ والطاعة، ولكن على شريطة أنك إذا أبصرت الجزء الناقص منها ولا تعرفه أن تعطيني خلعة ومائة دينار. قال: أفعل. وأخذت المصحف من بين يديه فانصرفت إلى داري، ودخلت الخزانة أقلب الكَاغَدَ العتيق وما يشابه كاغَدَ المصحف، وكان فيها من أنواعِ الكَاغَدِ السَّمَرْقَنْدِي والصِّينيِّ والْعَتيقِ كل ظريف عجيب فأخذت من الكاغَد ما وافقني، وكتبتَ الجزء وَذَهَّبْتُهُ وعتَّقْتُ ذَهَبَهُ ، وقلعتَ جلدًا من جزء من الأجزاء فجلدته به وجلدت الذى قلعت منه الجلد وعتقته، ونسى بهاء الدولة المصحف، ومضَى على ذلك نحو السنة. فلما كان ذات يوم جَرَى ذكر أبي على بن مُقْلَة فقال لى: ما كتبت ذلك؟ قلت: بلى، قال: فأعْطينيه : فأحضرت المصحف كاملا فلم يزل يقلبه جزءًا جزءًا وهو لا يقف على الـجُزْء الذى بخَطِّي ثم قال لى: أيُّمَا هو الجزء الذي بخطك؟ قلت له: لا تعرفه فيصغر في عينك، هذا مصحفَ كامل بخط أبي عَلِّي بنْ مُقْلَة ونكتم سرنا؟ قال: أفعل: وتركه في رَبْعَةٍ عند رأسه ولن يعده إلى الخزانة، وأقمت مطَالبًا بِالْخِلْعَه والدنانير وهو يَمْطُلُنِي وَيَعِدُنِي، فلما كان يومًا قلت يا مولانا في الخزانة بَيَاضًا صينِيٌّ وعَتِيقٌ مُقَطَّع وَصَحِيحٌ ، فتعطيني المقطوعَ منه كله دون الصحيح بالخلعة والدنانير. قال مُرَّ وخذه. فمضيت وأخذت جميع ما كان فيها من ذلك النوع فكتبت فيه سنين» [٤٤].

وحَدَّد القلقشندي جودة الورق بقوله:

«وأحسن الورق ما كان ناصع البياض غرفًا صقيلا متناسب الأطراف صبوراً على مرور الزمان.

وأعلا أجناس الورق فيما رأيناه «البغدادى»، وهو ورق ثخين مع ليونة ورقة حاشية وتناسب أجزاء وقَطْعَهُ وافر جداً ولا يكتب فيه في الغالب إلا المصاحف الشريفة....

[٤٣] السمعاني : الأنساب ورقة ٤٧٢ و ؛ كوركيس عواد : المرجع السابق ٤٢٣.

[٤٤] ياقوت الحموى : معجم الأدباء ١٥ : ١٢٣ - ١٢٤.
وارجع عن استخدام الكاغَد في المخطوطات الإسلامية تبعًا للمصادر الفارسية Afshār. I., « The Use of Paper in Islamic Manuscripts », *The Codicology of Islamic Manuscripts*, p. 77-91.

AnIsl 31 (1997), p. 1-39 Ayman Fu'ād Sayyid
.maḫṭūṭ-al 'arabi-al kitāb-al Ṣinā'at صناعة الكتاب العربى المخطوط
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

أنواع الورق (الكاغَد)

ذكر ابن النديم أن المادة التي كان يُعْمَل منها الورق المعروف بـ «الورق الخُراساني» هي «الكِتَّان» وأن صُنّاعًا من الصين عملوه بخُراسان على مثال الورق الصيني. وعَدَّد بعد ذلك ستة أنواع منه هي: «السُّلَيْماني والطَّلْحي والنُّوحي والفرعوني والجَعْفَري والطاهري» [٣٨].

ولا شك أن هذه هى أنواع الورق التي كانت شائعة الاستعمال في البلدان الإسلامية في نهاية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وهي الفترة التي كتب فيها ابن النديم كتابه.

أما الورق السُّلَيْمانى فمنسوب إلى سُلَيْمان بن راشد والي خُراسان في أيام هارون الرشيد.

والورق الطلْحي يُنْسب إلى طَلْحَة بن طاهر ثاني أمراء الدولة الطَّاهرية في خُراسان (٢٠٧ - ٢١٣هـ/ ٨٢٢ - ٨٢٨م).

والوَرَق النُّوحي كان منسوبًا إلى أحد أمراء الدولة السَّامانية التي حكمت تُرْكُسْتان وفارس، «نوح الأول السّاماني» (٣٣١ - ٣٤٣هـ/ ٩٤٢ - ٩٥٤م) أو «نوح الثاني السَّاماني» (٣٦٦ - ٣٨٧هـ/ ٩٧٦ - ٩٩٧م).

أما الورق الفرعوني فضربٌ آخر نافس ورق البردي في مصر، وأقدم النصوص العربية التي عُثر عليها مُدَوَّنَة في هذا النوع من الورق يرتقي تاريخها إلى نهاية القرن الثانى الهجري/ الثامن الميلادي. وظَلَّ هذا النوع يستخدم بعد ذلك. فقد جاء في ترجمة الشيخ الرئيس ابن سينا عند ابن أبي أصَيْبِعَة قول تلميذ له:

«... وأمرني الشيخ بإحضار البياض [يعني الورق] وقطع أجزاء منه، فشددت خمسة أجزاء، كل واحد منها عشرة أوراق بالربع الفرعوني» [٣٩].

ونُسب الورق الجَعْفَري إلى جعفر بن يحيى بن خالد البَرْمَكي الذي قُتل عام ١٨٧هـ/ ٨٠٢م في نكبة البرامكة.

والورق الطاهري يُنْسب إلى طاهر الثاني أحد أمراء الدولة الطاهرية في خُراسان (٢٣٠ - ٢٤٨هـ/ ٨٤٤ - ٨٦٢م) [٤٠].

وأشار ياقوت الحموي إلى «الورق الجَيْهاني» [٤١]، الذي يُنْسَب إلى مدينة جَيْهان إحدى مدن خُراسان، و«الورق المأموني» [٤٢] المنسوب إلى الخليفة المأمون العباسي (١٩٨ - ٢١٨هـ/ ٨١٣ - ٨٣٣م).

[٣٨] ابن النديم: الفهرست ٢٢.
[٣٩] ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٢ : ٨.
[٤٠] كوركيس عواد: المرجع السابق ٤٢١ - ٤٢٢.
[٤١] ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢ : ٩٥.
[٤٢] ياقوت الحموي: معجم الأدباء ٦ : ٢٨٥ .

AnIsl 31 (1997), p. 1-39 Ayman Fu'ād Sayyid
صناعة الكتاب العربى المخطوط .maḫṭūṭ-al ʿarabi-al kitāb-al Ṣināʿat
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

ذكر صاحب كتاب «المسالك والممالك» أنه وَقَعَ من الصين إلى سَمَرْقَنْد فى سَبْي سباهم زياد بن صالح من اتَّخَذَ الكواغيد بها، ثم كثرت الصنعة واستمرت العادة حتى صارت متجرًا لأهل سَمَرْقَنْد فعَمَّ خيرها والارتفاق بها في الآفاق» (٣٤).

ولكن إذا كانت قراطيس مصر قد انقطعت عن مشرق العالم الإسلامي بسبب ظهور الكاغَد (الورق) فإنها ظَلَّت تُصَدِّرها إلى المغرب الإسلامي فيورد الثَّعالبي نقلا عن الجاحظ قوله:

«وقراطيس مصر للمغرب ككواغيد سَمَرْقَنْد للمشرق» (٣٥).

وقد قَطَعَ أبو سَعْد السَّمعاني بكون الكاغَد لا يُعْمَل في المشرق إلا في هذه المدينة. قال في مادة «الكاغَذي»:

«هذه النسبة إلى عمل الكاغَذ الذي يُكْتَب عليه وبَيْعه، ولا يُعْمَل في المشرق إلا بسَمَرْقَنْد» (٣٦).

وكان الوزير المصرى أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات المعروف بابن حنْزابة المتوفى سنة ٣٩١ هـ/ ١٠٠٠م يستورد الورق من سَمَرْقَنْد لاتخاذه فيما يستنسخه له الورَّاقون لخزانته قال:

«قال محمد بن طاهر المَقدْسي: سمعت أبا إسحاق الحَبَّال يقول: كان يستُعمل للوزير أبي الفضل، الكاغَد بسَمَرْقَنْد ويُحمل إليه إلى مصر في كل سنة. وكان في خزانته عدةٌ من الورَّاقين، فاستعفى بعضهم، فأمر بأن يحاسَب ويُصرف، فكمل عليه مائة دينار، فعاد إلى الوراقة وترك ما كان عزم عليه من الاستعفاء. قال: وسمعتُ أبا إسحاق إبراهيم بن سعيد الحَبَّال يقول: خَرَجَ أبو نَصْر السِّجْزي الحافظ على أكثر من مائة شيخ، لم يبق منهم غيري. وكان قد خَرَّجَ له عشرين جزءًا في وقت الطلب وكتبها في كاغَد عتيق. فسألت الحَبَّال عن الكاغَد، فقال: هذا من الكاغَد الذي كان يُحمل للوزير من سَمَرْقَنْد، وقعت إليّ من كتبه قطعة، فكنتُ إذا رأيتُ فيها ورقة بيضاء قطعتها، إلى أن اجتمع هذا. فكتبتُ فيه هذه الفوائد» (٣٧).

وهذا يَدُلُّ على أن البَرْدى قد قَلَّ استخدامه فى مصر نظرًا لارتفاع ثمنه عن الكاغَد وقِّلة إنتاجه.

وتحتفظ دار الكتب المصرية بأقدم كتاب وَصَلَ إلينا على الكاغَد وهو «الرِّسالة» في أصول الفقه للإمام الشافعي والتي يرجع تاريخ كتابتها إلى مطلع القرن الثالث الهجري وهو محفوظ بالدار تحت رقم ٤١ أصول فقه م.

٣٤ الثعالبي: لطائف المعارف، بريل ١٨٦٧ ، ١٣٦؛ وقارن مع الجاحظ: التبصر بالتجارة ٣٦؛ القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد (نشرة وستنفلد – جوتنجن ١٨٤٨) ٣٦٠؛ النويري: نهاية الأرب ١ : ٣٥٤.

٣٥ نفسه ٩٧، وقارن : السيوطي: حسن المحاضرة ٢ : ... .

٣٦ السمعاني: الأنساب: ورقة ٤٧٢ و ، وانظر كوركيس عواد: المرجع السابق، ٤١٩–٤٢٠.

٣٧ ياقوت : معجم الأدباء ٧ : ١٧٦ – ١٧٧.

AnIsl 31 (1997), p. 1-39 Ayman Fuʾād Sayyid
صناعة الكتاب العربى المخطوط maḫṭūṭ-al ʿarabi-al kitāb-al Ṣināʿat.
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

وتَدُلُّ هذه النصوص على أن الرَّق ظَلَّ مستخدمًا فى الشرق الإسلامى وإلى القرن السادس الهجرى، فعملية الغَسْل هذه لا يمكن أن تتم إلا إذا كانت الكتابة على الرَّق.

الكاغَـد Kāġad

أما الورق (الكاغَد) Kāġad فكان يُعْمَل في أغلب الأحيان من الكِتّان أو القِنَّب وخاصة ما يُعرف منه بالورق الخراساني [٢٩]. وقد أورد صاحب كتاب «عمدة الكتاب» طريقة لعمل نوع من الكاغد وصفة سقيه وتعتيقه [٣٠].

وقد وَجَدَ الرَّق منافسةً شديدةً من الكاغَد عند ظهوره وخاصةً فيما يتعلَّق بالكتابات التي تُنَظِّم معاملات الناس وتُوَثِّقها ويقع التقاضى بها إذ أصدر الخليفة هارون الرشيد أمرًا بـ:

«ألا يكتب الناس إلا فى الكاغَد لأن الجلود ونحوها تقبل المَحْو والإعادة فتقبل التزوير، بخلاف الورق فأنه متى مُحيَ فَسَدَ ، وإن كُشِط ظهر كَشْطُه» [٣١].

وقبل ذلك كانت القراطيس المصرية هى الأكثر استخدامًا في دواوين الدولة الإسلامية [٣٢]. يقول الجهشياري:

«ووقف أبو جعفر [المنصور] على كثرة القراطيس في خزائنه، فدعى بصالح صاحب المصلى فقال له: إني أمرت بإخراج حامل القراطيس في خزائننا فوجدته شيئًا كثيرًا جدًا فتولّى بيعه وإن لم تُعْط بكل طومار إلا دانقًا، فإن تحصيل ثمنه أصلح منه. قال صالح: وكان الطومار في ذلك الوقت بدرهم فانصرفت من حضرته على هذا؛ فلما كان في الغد دعاني فدخلت عليه فقال لي: فكَّرت في كتبنا وأنها قد جَرَت في القراطيس وليس يُؤْمن حادثٌ بمصر فتنقطع القراطيس عنّا بسببه فنحتاج إلى أن نكتب فيما لم نُعَوِّدَه عمالنا فدَع القراطيس استظهارًا على حالها.

ولهذه العلَّة كانت الفُرْس تكتب في الجلود والرَّق وتقول: لانكتب في شيء ليس في بلادنا» [٣٣].

ويذكر الثَّعالبي أن:

«من خصائص سَمَرقَنْد الكواغيد التي عَطَّلَت قراطيس مصر والجلود التي كان الأوائل يكتبون فيها لأنها أحسن وأنْعَم وأرْفَق وأوْفَق ولاتكون إلا بها والصين.

[٢٩] ابن النديم: الفهرست ٢٢.

[٣٠] المعز بن باديس (المنسوب لـ): عمدة لكتاب ١٤٧ - ١٤٩ وانظر كـذلـك Huart, Cl. & Grohmann, A., *EI*^{2}, art. *Kāghad* VI, p. 437-438.

[٣١] القلقشندى: صبح الأعشى ٢ : ٤٨٦ وقارن مع ابن خلدون : المقدمة ٢ : ٩٧٤؛ القلقشندي : صبح ١ : ٥٨٧ ، ٢ : ٤٧٥؛ المقريزي: الخطط ١ : ٩١.

[٣٢] القلقشندي : صبح ٦ : ١٨٩. وفيه (أن الخلفاء لم تزل تستخدم القراطيس امتيازًا لها على غيرها من عهد معاوية).

[٣٣] الجهشياري: كتاب الوزراء والكتاب ١٣٨.

AnIsl 31 (1997), p. 1-39 Ayman Fu'ād Sayyid
.maḫṭūṭ-al ʿarabi-al kitāb-al Ṣinā'at صناعة الكتاب العربى المخطوط
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

أما المصاحف والكتب المكتوبة على الرَّق، فهناك نماذج كثيرة لها محفوظة في العديد من المكتبات العالمية وخاصة في المكتبة الوطنية في باريس وفي مجموعة ناصر خليلي بلندن وفي دار المخطوطات بصنعاء وهي تصلح كأساس لعمل مُدَوَّنَة corpus للمخطوطات المكتوبة على الرَّق [٢٣].

وإذا كان من خواص الرَّق قدرته علي البقاء الطويل، فإن من أهم عيوبه إمكانية محو ما فيه وإعادة استخدامه مرة أخرى. فيذكر ياقوت الحموى من بين مؤلفات على بن عيسي بن الفرج بن صالح الرَّبْعى النحوى المتوفي سنة ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م شرح كتاب سيبويه ثم قال:

«إلا أنه غَسَلَه وذاك أن أحد بنى رضوان التاجر نازعه فى مسألة فقام مُغْضبًا وأخذ شرح سيبويه وجعله فى إجّانة وصَبّ عليه الماء وغَسَلَه وجعل يَلْظِم به الحيطان ويقول: لا أجعل أولاد البقالين نحاة» [٢٤].

وعندما ترجم ياقوت لأبى طالب المبارك بن المبارك بن المبارك الكَرْخى الشافعى المتوفي سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٨م قال:

«كان رحمه الله فاضلا زاهدًا عابدًا ورعًا إمامًا أوحد زمانه فى حُسْن الخط علي طريقة على بن هلال البَوَّاب، سمعت جماعة يحكون أنه لم يكتُب أحدٌ قبله ولا بعده مثله فى قلم الثلث، حتي رأيت من يغالى فيه فيقول: إنه كان خيرًا من ابن البَوَّاب، وكان ضنينًا بخطه جدًا فلذلك قَلَّ وجوده. كان إذا اجتمع عنده شيء من تجويداته يستدعي طستًا ويَغْسلَه. فأما إذا استفتى فكان يكسر قلمه ويجهد فى تغيير خطه» [٢٥].

ويذكر ياقوت أيضًا أنه لقى في آمد سنة ٥٩٣هـ/١١٩٧م علي بن الحسن بن عَنْتَر المعروف بشميم الحلّي «وكان من العلم بمكان مكين... إلا أنه كان لا يقيم لأحد من أهل العلم المتقدمين ولا المتأخرين وَزنًا» [٢٦]؛ وقد سأله ياقوت لماذا لم يُصَنِّف مقامات يَدْحَض بها مقامات الحريري فقال له:

«يا بُنَىّ اعلم أن الرجوع إلى الحق خيرٌ من التمادى على الباطل، عملت مقامات مرتين فلم ترضنى فغسلتها» [٢٧].

وأورد الخبر برواية أخرى فى ترجمة الحريري قال :

«... ولقد أنشأتها ثلاث مرات ثم أتأمَّلها فأسترذلها ، فأعمد إلى البركة فأغسلها» [٢٨].

[٢٣] Déroche, F., *Les manuscrits du Coran, aux origines de la calligraphie coranique*, Paris B. N. 1983; *id.*, *The Abbasid Tradition. Qur'ans of the 8th to 10th centuries. The Nasser D. Khalili Collection of Islamic Art,* London 1993.
دار الآثار الإسلامية: مصاحف صنعاء، الكويت ١٩٨٥.

[٢٤] ياقوت الحموى : معجم الأدباء ١٤ : ٧٩.

[٢٥] ياقوت الحموى : معجم الأدباء ١٧ : ٥٦ –٥٧.

[٢٦] نفسه : ١٥ – ٢٦٨.

[٢٧] نفسه : ١٣ : ٥٨.

[٢٨] نفسه : ١٥ : ٢٦٨ – ٢٦٩.

© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

البَرْدي سوى أجزاء لأعمال مبكرة مثل موطأ مالك بن أنس وصحيفة همام بن مُنَبِّه وصحيفة عبدالله بن لَهيعَة، أما أكمل كتاب وصل إلينا على البَرْدي فهو نسخة من كتاب «الجامع في الحديث النبوي» لعبد الله بن وَهْب المتوفى سنة ١٩٧هـ/ ٨١٢م كُشفَ عنها عام ١٩٢٢ في حفائر كان يجريها المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة في إدفو بصعيد مصر، وهي اليوم محفوظة في دار الكتب المصرية تحت رقم٢١٢٣ حديث [٢١].

الـرَّق Parchemin

المادة الأصلية للرَّق Parchemin من أصل حيواني تستخدم فيه جلود الخراف والماعز والبقر والغزال وربما الحمير، وكان جلد الخراف هو الأكثر استخداماً في هذا الغرض.وكان الرَّق يُصْنَع عن طريق نزع الشعر من جذوره وإزالة النجاسات الموجودة عليه باستعمال الجير أو أية مادة حفظ أخرى ويترك ليجف مع شَدِّه على إطار خشبي، وعملية الشد هذه في غيبة عملية الدباغة هي التي تفرق بين الرَّق والجلد. وفي كثير من الرقوق التي وصلت إلينا يمكننا التفريق بين ناحية اللحم وناحية الشعر بسبب بقاء جذور شعر الحيوان. وكانت الكتابة تتم عادة على الوجه الأملس recto. أما حجم الرَّق فكان يختلف باختلاف طول الحيوان المستمد منه ويتراوح ما بين ٢,٨٥ × ٨٢سم و٨,٤ × ١,٨سم [٢٢].

وفي المغرب الإسلامي كان التَحوُّل لاستخدام الورق متأخِّراً حَيْث ظلَّ الرَّق هو المادة المستخدمة في الكتابة حتى القرن الخامس الهجرى / الحادي عشر الميلادي، بل إن المصاحف المغربية ظَلّت حتى وقت قريب تُكْتَب على الرَّق طلباً لطول البقاء.

[٢١] Weill, J. D., «Note sur un manuscrit malékite de ʿAbd-Allah ibn Wahb ibn Muslim al-Fihrī Al-Qurashī», *Mélanges Maspero* III – Orient Islamique, Le Caire – IFAO 1953, p. 177-189؛ ونشر ديفيد ڤيل الكتاب نصًا ولوحات وتعليقات فى ثلاثة أجزاء
Weill, J. D., *Le Djāmiʿ d'Ibn Wahb* (texte, planches et commentaires, Le Caire – IFAO 1939-1948).
ومقال خوري Khoury, R. G., *EI*^{2}, art. *Papyrus* VII, p. 268-272.

[٢٢] Khouri, R. G. and Wittkam, J. J., *EI*^{2}, art. *Rakk* VIII, p. 422-424; Déroche, Fr., «L'emploi du parchemin dans les manuscrits islamiques: quelques remarques liminaires», *The Codicology of Islamic Manuscripts*, p. 17-57.

AnIsl 31 (1997), p. 1-39 Ayman Fuʾād Sayyid
.maḫṭūṭ-al ʿarabi-al kitāb-al Ṣināʿat صناعة الكتاب العربى المخطوط
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

وقد نَوَّه البيروني بورق البردي المصري وأشاد به، قال:

«إن القرطاس معمولٌ بمصر من لُبّ البَرْدي يُبْرى في لحمه، وعليه صدرت كتب الخلفاء إلى قريب من زماننا [توفي البيروني سنة٤٤٠هـ/١٠٤٨م] إذ ليس ينقاد لحكّ شيء منه وتغييره بل يَفْسَد به» (١٤).

و«القَراطيس» واحدها «قرطاس» وقد ورد كلاهما في القرآن [سورة الأنعام، الآيتان ٦ و٩٠]، وعَدَّهُ بعض اللغويين من الألفاظ الدخيلة، قال الجواليقي:

«والقرطاس ــ بضم القاف وكسرها ــ قد تكلَّموا به قديمًا. ويقال إن أصله غير عربى» (١٥).

وذكر دوزي Dozy أن لفظ القرطاس أصله من اليونانية chartes ومعناه ما يكتب فيه، ويقابله في العربية «ورقة» و«صحيفة» (١٦).

وكان في الجانب الغربي من بغداد أي في الكَرْخ دربٌ يعرف بـ«درب القراطيس» أو «درب أصحاب القَراطيس»، ذكره غير واحد من الكُتّاب الأقدمين كالجاحظ والطَّبري والخطيب البغدادي وغيرهم (١٧)، وأغلب الظن أن قراطيس مصر كانت تباع فيه.

وذكر أبو سعيد السَّمْعاني المتوفى سنة ٥٦٣ هـ / ١١٦٦ م في مادة «القراطيسي» أن «هذه النسبة إلى عمل القراطيس وبيعها» (١٨)، ثم ذكر غير واحد ممن عُرف بهذه النسبة وأغلبهم من بغداد أو ممن قدم إليها، يقول كوركيس عَوّاد: «فلعل نسْبَتهم جاءت من سكناهم درب القراطيس أو من صنعهم أو بيعهم القراطيس ذاتها» (١٩).

وأورد الخطيب البغدادي المتوفى قبل السَّمْعانى بمائة عام تراجم سبعة رجال عُرِفَ كل منهم بـ«القراطيسي» أمرهم أيضًا أمر من ذكرهم السمعانى فى استبهام نسبتهم حيث لم يفَصح الخطيب عن ذلك فى تراجمهم المقتضبة (٢٠).

وقد وَصَلَ إلينا العديد من الرسائل والصكوك المكتوبة على البَرْدي حُفِظَت لنا في مصر والقليل في فلسطين وكلها أوراق خاصة بعقود بين أفراد أو إيصالات أو دفع ضريبة خراجية أو مراسلات بين الولاة، أقدمها بردية يرجع تاريخها إلى عام ٢٢هـ/٦٤٣م تعرف بـ«بردية أهناسيا» محفوظة اليوم في مجموعة الأرشيدوق رينر بالنمسا. ولم تصل إلينا للأسف كتبٌ مكتوبة على

١٤ البيروني: تحقيق ما للهند ٨١.

١٥ الجواليقي: المعرب من الكلام الأعْجمي ٢٧٦.

١٦ Dozy, *Suppl, Dict. Ar.* II, p. 331.

١٧ كوركيس عواد: «الورق والكاغد ـ صناعته فى العصور الإسلامية»، مجلة المجمع العلمى العربي ٢٣ (١٩٤٨)، ٤١٥.

١٨ السمعانى: الأنساب ورقة ٤٤٥.

١٩ كوركيس عواد: المرجع السابق ٤١٥.

٢٠ الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد ٢: ٩١ ، ٤: ٤٣٠ ، ١١: ٢٢٣ ، ١٢: ٣ و ١٥١ ، ١٣: ٤٥؛ كوركيس عواد: المرجع السابق ٤١٥.

AnIsl 31 (1997), p. 1-39 Ayman Fu'ād Sayyid
صناعة الكتاب العربى المخطوط maḫṭūṭ-al ʿarabi-al kitāb-al Ṣināʿat.
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

الـــوَرَق
(البَرْدي ــ الرَّق ــ الكاغَد)

ظَلَّت صناعةُ الورق (البَرْدي) في الدولة الإسلامية صناعةً مصريةً خالصةً طوال القرن الأول وأوائل القرن الثاني للهجرة حتى أخذ الورق الصيني (الكاغَد) مكانه إلى جانبه. واستخدم الورق (الكاغَد) في مصر بطريقة متَقَطِّعَة في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، ولكنه لم يعتبر منافسًا للبَرْدي حتى أواسط القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي عندما حَلَّ مَحلّ البَرْدي وبدأت مطابخ الورق في الظهور وتَوَقَّف إنتاج البَرْدي.

وإلى جانب البَردي Papyrus كان الرَّق Parchemin ــ وهو ما يُرَقَّق من الجلود ليُكْتَب فيه ــ يحتَلّ حتى وقت ظهور الورق (الكاغَد) بشكل مطلق وَضْعًا متميزًا في صناعة الكتاب العربي المخطوط.

البَـرْدي Papyrus

والبَرْدي من الحاصلات الخاصة التي كانت تُنْبتَها مصر وكانت النباتات التي تُعْمَل منها الأوراق البردية تلعب في حياة مصر الاقتصادية منذ عصر الأسرة الوسطى القديمة وحتى انتهاء زراعته نحو نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادى عشر الميلادي نفس الدور الذي لعبه القُطْن في الاقتصاد المصري حتى وقت قريب.

ففي مستنقعات الدلتا كانت مسطحات واسعة يغطيها البَرْدي papyrus وهو نبات من فصيلة السعد souchet كان يُزْرَع بين المشاتل. وكان الورق يُتَّخَذ من لُبابه وهو لُباب ليفي لزج يقطع إلى شرائح طولية بعد قشرها وتوضع الواحدة إلى جانب الأخرى، ثم تردف بطبقة ثانية من هذه الشرائح متعامدة مع الأولى، وتطرق الصحائف بمطرقة خشبية لتسويتها ولتتحد أجزاؤها بواسطة اللزوجة الطبيعية. وكانت الكتابة تتم عادة على الوجه الأفقي منها. فكانت مصر هي البلد الذي يَمُدّ سائر الأقطار بأوراق البَردي [١٢]. وأطلقت المصادر العربية القديمة على البَرْدي المصري «القراطيس المصرية» [١٣].

[١٢] ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية (بولاق ١٢٩١هـ) ١: ٨٦ – ٨٧؛ وراجع جروهمان، أدولف: المحاضرة الأولى عن الأوراق البردية العربية ومنها المحفوظة بالدار، تعريب توفيق إسكاروس، القاهرة ــ دار الكتب المصرية ١٩٣٠، ٩؛ إبراهيم شبوح: «بعض ملاحظات على خط البرديات العربية المبكرة ومدى تأثرها بحركات إصلاح الكتابة»، الندوة الدولية لألفية القاهرة ١٦؛ Sellheim, R., *EI²*, art. *Kirṭās* V, p. 171; Khoury, R. G., *EI²*, art. *Papyrus* VII, p. 268-272; Khan, G., «Arabic Papyri», *The Codicology of Islamic Manuscripts*, p. 1-16.

[١٣] ابن النديم: الفهرست ٢٢.

AnIsl 31 (1997), p. 1-39 Ayman Fu'ād Sayyid
صناعة الكتاب العربى المخطوط maḫṭūṭ-al ʿarabi-al kitāb-al Ṣināʿat.
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

وبعد تصنيف هذا الكتاب بنحو قرن ونصف، صَنَّف الملك اليمنى الـمُظَفَّر يوسف بن عمر بن على الرسولي المتوفى سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م كتاب «الـمُخْتَرَع في فنون من الصُّنَع» [٣] استوعب فيه الأبواب العشرة الأولى من كتاب «العُمْدَة» استيعابًا حرفيًا وبشيء من الانتقاء [٤].

وإضافةً إلى هذين الكتابين فإن هناك أدبًا محدودًا وَصَل إلينا يُعَرِّف بصناعة الأحبار والألوان وأساليب التزويق والتجليد لعل أهمها: كتاب «الأزهار في عمل الأحبار»لمؤلف مغربي يدعى محمد بن ميمون بن عمران المراكشي الحميري [٥]، ألَّف كتابه أثناء إقامته فى بغداد فى المدرسة المستنصرية سنة ٦٤٩هـ/ ١٢٥١م، وكتاب « تُحَف الخَوَاص فى طُرَف الخَوَاص» لأبي بكر محمد ابن محمد بن إدريس بن مالك القُضاعي المعروف بالقللوسي [٦] وهو أندلسي من أهل إسطابونة Estepona (٦٠٧ - ٧٠٧هـ/ ١٢١٠ - ١٣٠٧م) وعالم لغوي اشتهر بحفظ كتاب سيبويه وكان حُجَّة فى العروض والقوافي. وقد نَوّه لسان الدين بن الخطيب بهذا الكتاب وقال إنه «رَفَع للوزير ابن الحكيم [أبي عبدالله محمد بن عبدالرحمن اللخمي الإشبيلي] كتابًا في الخواص وصنعة الأمدة وقلع طبع الثياب غريبًا في معناه» [٧]. كما تحتفظ دار الكتب المصرية بـ«رسالة فى صناعة الأحْبار» مجهولة المؤلف تحت رقم ١٤ صناعة تيمور.

وفيما يخص التجليد أو التسفير فقد وَصَلَت إلينا بعض المؤلفات ذات القيمة على ندارتها أقْدَمُها كتاب «التيسير فى صناعة التسفير» للفقيه بكر بن إبراهيم الإشبيلي المتوفى سنة ٦٢٨هـ/ ١٢٣١م [٨]، وأرجوزة «تدبير السفير فى صناعة التسفير» لشخص يُدْعى ابن أبي حَميدَة أو ابن أبي حُمَيْدَة عاش في القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادي [٩]، ثم الرسالة التى كتبها أبو العباس أحمد بن محمد السُّفْياني سنة ١٠٢٩هـ/ ١٦١٦م عن صناعة التسفير وحَلّ الذهب [١٠] .

يضاف إلى ذلك الفصل الهام الذي أفرده القلقشندي في أوائل القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي للحديث عن آلات الخط ومباديه، والآلات التى تشتمل عليها الدواة والقلم وبَرْيه، والمداد والحبر وصنعتهما، وليق الافتتاحات، وما يكتب فيه من قراطيس وورق [١١].

٣ نشره محمد عيسى صالحية فى الكويت عام ١٩٨٩.

٤ Chabbouh, Ibr. *op. cit.* p. 59.

٥ توجد منه نسخة بخط مؤلفها Autographe فى مجموعة خاصة استفاد منها إبراهيم شبوح في بحثه المشار إليه أعلاه.

٦ منه نسخة في الخزانة الملكية بالرباط بالمغرب اعتمد عليها إبراهيم شبوح في بحثه المشار إليه أعلاه.

٧ لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة فى أخبار غرناطة ٣ : ٧٦.

٨ نشره عبد الله كنون فى صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد ٧-٨ (١٩٥٩)، ١-٤٢.

٩ منها نسخة فى دار الكتب المصرية برقم ٣١٩/ ٨ مجاميع ونشرها Gacek, Adam, «Ibn Abī Ḥamīdah's didactic poem for bookbinders», *MME* VI (1992), p. 41-58.

١٠ نشره Prosper Ricard بعنوان «صناعة تسفير الكتب وحَلّ الذهب»، باريس ــ بول جوتنير ١٩١٩، ١٩٢٥؛ Chabbouh, Ibr. *op. cit.* p. 61.

١١ القلقشندي : صبح الأعشى٢ : ٤٤٠ - ٤٨٨.

© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net

أيمن فؤاد سيد

صِنَاعَةُ الكتاب العَرَبى المَخْطُوط

حَدَّد القدماءُ لصناعة الكتاب المخطوط أركانًا أربعة هي: الكاغَد (الورق) والمداد (الحبر) والقَلَم (الخط) والتجليد (التَّسْفير).

ولم يكن حَظُّ هذه الأركان الأربعة متوازنًا في معارفنا، «لأن القادرين على التمييز والكتابة والوعي بضبط التجارب للأجيال يبدأ اهتمامهم من مرحلة القلم والخط ويخرجون منها إلى التدوين والتأليف، وبهذا كان هذا الجانب كثير الثراء مُوَثَّقَة أسراره في أدب حافل محفوظ بالمصادر الكبرى لثقافة الكتاب.

أما الركائز الثلاث الأولى والأسبق في التسلسل من الخط وهي: الورق والحبر والتجليد، فإن المادة التوثيقية عنها كانت في غاية الضحالة ولم تكن في مستوى توضيح تقنيات التراث الضخم الذي سلم لنا على الزمن» [١].

ويُعْتبر كتاب «عُمْدَة الكُتَّاب وعُدَّة ذوي الألباب» [٢]، الذي أُلِّف على الأرجح للأمير الصِّنْهاجي تميم بن المعز بن باديس أشْمَل ما وُضِعَ في صناعة الكتاب المخطوط، فقد تناول فيه مؤلفه المجهول بتوازن وإيجاز انتخاب الأقلام الجَيِّدَة وبريها على أجناس الخطوط، وصفة الدواة واختيار آلاتها، وعمل أجناس المداد والأحبار الملونة، وعمل الليق، وتلوين الأصباغ وخلطها، والكتابة بالذهب والفضة، وعمل ما تُمْحَى به الكتابة، وإلصاق الذهب والفضة وصفة مَصاقله وصَقْله، وعَمَل الكاغَد وسَقْيه وتعتيقه، والجلد والتجليد وجميع آلاته.

[١] Chabbouh, Ibr., « Two New-Sources on the Art of Mixing Ink » *in The Codicology of Islamic Manuscripts*, London, al-Furqān Islamic Heritage Foundation 1995, p. 60.

[٢] نشره عبدالستار الحلوجى وعلى عبدالمحسن زكى في مجلة معهد المخطوطات العربية ١٧ (١٩٧١)، ٤٣ – ١٧٢.

AnIsl 31 (1997), p. 1-39 Ayman Fu'ād Sayyid
.maḫṭūṭ-al ʿarabi-al kitāb-al Ṣinā'at صناعة الكتاب العربى المخطوط
© IFAO 2025 AnIsl en ligne https://www.ifao.egnet.net